الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية
جامعة 20 أوت 1955

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

من أساليب التوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري البعثات العلمية والاستكشافية " أنموذجا "

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

إعداد الطلبة :
-كرموز مريم
- شوالب نجمة

تحت إشراف الأستاذ :
-رحاي محمد

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
منغور أحمد	أستاذ محاضر – أ-	رئيسا	جامعة 20 أوت سكيكدة
رحاي محمد	أستاذ محاضر – أ-	مشرف ومقررا	جامعة 20 أوت سكيكدة
عياشي بالقاسم	أستاذ محاضر – أ-	عضوا مناقشا	جامعة 20 أوت سكيكدة

السنة الجامعية

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

الآية الحادية عشر من سورة المجادلة

الإهـــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل البسيط إلى ينبوع الصبر و التفاؤل و الامل

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي ....و حنانها بلسم جراحي...

إلى أمي الغالية و الحبيبة أمد الله في عمرها.

إلى قدوتي في الحياة .... إلى مبدأ الاخلاق و القيم السامية، إلى سر الوجود ....

إلى من أحمل اسمه بكل فخر..إلى من علمني العطاءدون إنتظار

إلى أبي كل التقدير و الاحترام و بصاحب القلب الكبير .

إلى سندي و قوتي و ملاذي بعد الله ووالدي اخوتي:

علاء الدين، فتحي، محي الدين، حفظهم الله.

إلى خطيبي الدي شجعني على العمل و الاجتهاد .

و إلى من را فقتني في هذا العمل صديقتي نجمة التي كانت

نعمة التربية و الاخلاق و المثابرة .

إلى كل الزملاء و الزميلات و أخص بالدكر صديقاتي نجلاء ، منال، خولة، شيماء ،خديجة، أسماء

.

أهدي هذا الجهد البسيط كتعبير عن عرفاني و فائق امتناني.

مريم كرموز

الإهـــــــداء

أهدي ثمرة هدا العمل المتواضع

إلى من ساعدني و أمد لي يد العون و أتاح لي فرصة التعلم و لم يحرمني من أي شيء

الى اخوتي مراد و أحمد و عبد الحق و خصوصا أخي محمد الذي ساندي

بمشواري هذا و ساعدني كثيرا في إتمامه و لا أنسى زوجات اخوتي دلال و منى

اللتان كانا يتمنيان لي النجاح دائما، إلى أمي روحي و عزيزتي الغالية التي كانت

دائما تساندني و تحملت العناء لأجلي أمي الحبيبة أمد الله في عمرها.

إلى أبي المتوفي رحمه الله اهديه نجاحي هذا الذي كنت أتمنى أن يكون حاضرا و فخورا

بمصدر عزيمتي أكن له التقدير و الاحترام .

إلى خطيبي الدي شجعني ودعمني.

إلى صديقتي مريم التي شاركتني هذا البحث و تعبت و ثابرت معي لإنجازه .

إلى صديقاتي أسماء ، مريم، ملاك، رونق، فيروز، شيماء اللاتي كن داعمات لي و

فرحات من أجلي .

إلى كل الاخوة و الاخوات الى كل الزملاء الى كل من اعرفه و يعرفني .

اهدي لهم هذا العمل المتواضع .

شوالب نجمة

الشـــكر و العرفـــــــان

اللهم إنا نشكرك و نحمدك على الهامنا العزم و الإرادة في انجاز هذا العمل .

ثم نتوجه بالشكر الجزيل الى المشرف الدكتور محمد رحاي

الدي لم يبخل علينا بتوجيهاته العلمية طوال انجاز هدا البحث و نصائحه المفيدة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة المحترمة

التي قبلت مناقشة عملنا المتواضع و منحتنا هذا الشرف العظيم.

و أخيرا نقدم خالص الشكر إلى من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

المختصرات

باللغة العربية:

تر: ترجمة

ص: الصفحة

ت. ق: تقديم

د.س.ن: دون سنة النشر

باللغة الفرنسية:

S.N.P : Sans numéro de page

Op.Cit : source précédente/ Opération

Ibid : Source au référence elle-méme

مقدمـــــــــة

مقدمة

تعرضت الجزائر الى منافسة حادة بين الدول الاستعمارية الاوربية و اشتد التنافس بين الفرنسيين و الإنجليز و الالمان و ذلك من أجل التوسع و التطور و لكن بعدما احتلت فرنسا الجزائر في 5 جويلية 1830 و بعد حصار لمدينة الجزائر انتهت بهزيمة الجيش البري الداي حسين بسبب أخطاء صهره إبراهيم آغا مما نتج عن ذلك دخول القوات الغارية للجزائر و احتكاكها و من بعدها بدأ حكامها يفكرون في التوغل الى عمق الجزائر المتمثل في جنوبها الكبير، حيث يعتبر الجنوب الجزائري من أهم المحطات البارزة في تاريخ الاستعمار الفرنسي بالجزائر فبعد أن أحكمت فرنسا قبضتها على الجزائر انشغلت بإستغلال اقاليمها الجنوبية، لاسيما أن هذه المنطقة كانت و مازالت تحتل مكانة هامة لأنها ذات نفوذ كبير عبر التاريخ و بدأ هذا الاهتمام أكثر منذ تحول جنوب الجزائر الى معاقل للثوار و المجاهدين، و مع المطلع القرن العشرين تمكنت فرنسا من الوصول الى عمق الجنوب الجزائري بعد أن كثفت من إرسال البعثات و الرحلات الاستكشافية و العلمية و عملت على القيام بدراسة ميدانية دقيقة كما قامت بالعديد من الدراسات الطبوغرافية و المناخية و الاجتماعية مستعينة بالعديد من الباحثين و المغامرين و رجال الدين و الادباء بالإضافة الى الضباط العسكريين لإنجاز تقارير و دراسات التي تمكن السلطة الفرنسية من التعرف على مسالك الجنوب و لتسهيل عملية التوسع و التعرف أكثر على خبايا الصحراء و العمل على تدليل الصعاب و فتح المعابر، فلقد استهوت خيرات الصحراء المستعمرين و آسالت لعابهم و أصبحت ركيزة أساسية في استراتيجية الاستعمار الفرنسي، و ذلك لاستكمال و تحقيق حلمها القديم و الداعي الى تكوين امبراطورية استعمارية حيث زودت البعثات الاستكشافية العلمية منها و العسكرية المشروع الاستعماري بالبحوث و التقارير المفصلة عن الأوضاع العامة للصحراء الجزائرية، كما زودت العسكريين بمختلف الخرائط الجغرافية للمنطقة و هذا من أجل معرفة المسالك و الطرق و المواقع الضرورية

للتمركز و ربط الوحدات العسكرية الفرنسية في المستقبل، مع الاهتمام بمسألة التنقيب عن المياه و تحديد مواقعها قصد تمويل أي بعثة استكشافية او فرقة عسكرية تنوي العبور نحو الجنوب الأقصى الجزائري كما أن هناك مناطق بها أهم أنواع الفحم الحجري و قد تعرف عليها و اكتشفها الأستاذ " **فلامون** "و أيضا تحتوي على النحاس و الزنك و الرصاص، اذا رأت فرنسا أن احتلال الجنوب الجزائري سوف يجلب لها الخير الكثير، لا يمكن ان تغفل عن استحواذ فرنسا و استعمال الطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات افريقيا من جهة و استعمال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات فرنسا من جهة أخرى، إضافة أن فرنسا كانت تعاني من كساد اقتصادي نظرا لحاجتها للمواد الأولية من أجل استثمار صناعي الى أبعد الحدود هي الصحراء الجزائرية، كما أن المستعمر تفاجأ حينما وجد ان المناخ في الجزائر تشبيه بالمناخ في فرنسا و بالتالي فأن الأنواع الزراعية المنتجة هناك هي نفسها الموجود في فرنسا، و ذلك ما زادها حبا للتوغل في الصحراء عسى ان تتحصل على منتجات جيدة لها، لذلك أخذت تخطط من أجل ابرام معاهدات و ترويض زعماء هذه المناطق باستدعائهم الى الجزائر العاصمة و باريس و ربط معهم صداقة و بالتالي قبول هذه المعاهدات و ابرامها في 26 نوفمبر 1862 بغدامس مع البعثة الفرنسية التي تتضمن قائد السرية الأركان " ميرشار " و نقيب الأركان "بالينياك" و أخيرا المترجم "إسماعيل بوضربة " وهكذا تمكن الفرنسيون من بسط نفوذهم و دخول الى كامل الصحراء.

و هذا من خلال هذه المعطيات التاريخية حاولنا تقديم اقرب صورة لموضوع بعنوان " من أساليب التوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري البعثات العلمية والاستكشافية "نموذجا " و من خلال هذه الدراسة التاريخية المتواضعة و بتوجيه من الأستاذ المشرف على المذكرة عالجنا الجانب التاريخي لعملية التفاعل و التوسع في الجنوب الجزائري .

و بخصوص الاطار الزماني لهذه الدراسة فإنها تنحصر في فترة زمنية محددة مابين (1830م-1954م) أما الإطار المكاني فيشمل الجنوب الجزائري لان هذا الفضاء الواسع شهد أحداث كبيرة و عموما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذه الدراسة.

و انطلاقا من هذه الدراسة نحدد أهمية الموضوع التي يكمن في تقديم اقرب صورة لموضوعنا وفقا للأحداث التاريخية المتسلسلة و التي ترسم لنا صورة كاملة عن أساليب التي اتبعتها فرنسا من بينها البعثات العلمية و الاستكشافية في الجنوب الجزائري .

- **أسباب اختيار الموضوع**

جاء هذا البحث نتيجة مجموعة من الأسباب و الدوافع التي حفزتنا للبحث في هذا الموضوع و يمكن تلخيصها في دوافع ذاتية و موضوعية

- **الدوافع الذاتية:**

- الميول الشخصية لدراسة جزء مهم لتاريخ الجزائر المتمثل في التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري .
- الرغبة في مواصلة الجهود المبذولة للكتابة عن تاريخ المنطقة و محاولة الاقتراب من الحقيقة التاريخية للجنوب الجزائري .

- **الدوافع الموضوعية:**

- إيجاد بعض المعلومات المتعلقة بالموضوع من خلال بعض المصادر و المراجع لإزالة بعض الغموض و النقص الدي يميز هذه الدراسة .
- التعرف على محتوى كتابات المستكشفين الفرنسيين حول الصحراء الجزائرية ووضع صورة تاريخية و اكاديمية لوضعية الجنوب الجزائري إبان فترة الاستعمار
- ابراز مدى تاثير السياسة الاستعمارية على سكان الجنوب الجزائري.

- تشجيع الأستاذ المشرف على تناول هذا الموضوع و جهده المتواصل لمحاولة اكمال بعض النقائص الهامة في هذا الموضوع .

- **إشكالية الموضوع:**

- ترتكز إشكالية موضوعنا حول التساؤل الرئيسي:
- إلى أي مدى أسهمت البعثات العلمية و الاستكشافية في التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر؟

قد تتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات و هي كالتالي:

- ماهي الأسباب و الحوافز التي دفعت فرنسا للإهتمام بالجنوب الجزائري تحديدا؟
- ماهي الطرق التي مارسها الاحتلال في الجنوب؟
- ماهو دور البعثات الاستكشافية في عملية التوسع و التغلغل الفرنسي في الجنوب؟
- ماهي السياسة الفرنسية المتبعة في الجنوب الجزائري؟

خطة البحث:

لمعالجة إشكالية الدراسة اعتمدنا على خطة بحث تضمن مقدمة و الفصل الأول و الدي جاء بعنوان دوافع التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و الدي عالجنا فيه دوافع إقتصادية و عسكرية و أيضا الخاصة بالرحالين و المستكشفين و تنامي روح التنافس بين الدول الاستعمارية ووضحنا فيه أهمية الجنوب الجزائري و البدايات الأولى للاهتمام الأوروبي عامة و الفرنسي خاصة.

أما الفصل الثاني و قد جاء بعنوان السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري و عالجنا فيه كيف بدءت السياسة الفرنسية في التوسع داخل الصحراء و الاستيطان فيها و مشاريعها داخل الصحراء و جنوب الجزائر.

أما الفصل الثالث و الدي عنوناه بالبعثات الاستكشافية و العلمية في الجنوب الجزائري فقد تضمن مجموعة من المستكشفين الفرنسيين و الدين قاموا باستكشاف الجنوب و تقديم تقارير حوله في وصف شامل على الجنوب.

أما الفصل الرابع فتطرقنا فيه إلى ابراز انعكاسات السياسة الفرنسية على الجنوب الجزائري و طرحنا فيه أهم النتائج.

و أنهينا دراستنا هذه بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل اليها في البحث و هي عبارة عن استنتاجات و حوصلة لإبراز أساليب و الطرق التي ركزت عليها فرنسا لتوسع في الجنوب و أهم ماتحصلت عليه من خلال البعثات الاستكشافية و العلمية .

الدراسات السابقة :

و قد تطرق لهذا الموضوع جملة من المؤرخين ندكر منهم :

-إبراهيم مياسي، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري و الدي افادنا في الفصل الأول الدي تناول الدوافع التي حفزتا المستعمر للتوسع داخل الجنوب الجزائري .

-أحميدة عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844م-1916م) و الدي افادنا في الفصل الأول الذي تطرقنا فيه حول السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري و تحديدا في مشاريع التوسع الفرنسي .

كما اعتمدنا على مذكرات الامل للتجديد (1962-1958) للكاتب شارل ديغول و الذي ساعدنا في إظهار السياسة الفرنسية داخل الجنوب الجزائري .

-ليون روش اثنتان و ثلاثون سنة في رحاب الإسلام هي مذكرة اعتمدنا على دراسات باالغة الأجنبية مثل paul soleillet.felix jacquot و الدي افادنا في البعثات الاستكشافية الفرنسية داخل الجنوب الجزائري .

المناهج المتبعة :

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف و التحليل، وصف الاحداث و الوقائع ثم تحليلها و تفسيرها .

صعوبات البحث:

أما بالنسبة للصعوبات و المعيقات فلا يخلو أي بحث من ذلك، فقد واجهتنا اثناء بحثنا مجموعة من العراقيل التي ستواجه بطبيعة الحال أي باحث و يمكن حصرها فيمايلي :

- بعض الكتابات و المصادر التي تزودنا بالمعرفة الدقيقة حيث لم تخرج كتابات المستكشفين و الرحالة الفرنسيين عن إطار الفقه و العقود .
- صعوبة اللغة الفرنسية التي كتب بها المستكشفون الفرنسيون من حيث الأسلوب .
- رغم وصلونا الى المكتبة و الملحق الجهوي لولاية سكيكدة إلا أننا اصطدمنا ببعض العوائق الإدارية التي أخذت وقتنا .
- صعوبة الحصول على بعض الكتابات الخاصة بالموضوع في بعض الأحيان لعدم توفر نسخ منها.

و قد تمكنا من التغلب على هده الصعوبات من خلال الاجتهاد و عدم الاستسلام و الصبر.

الفصل الأول: دوافع التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري .

1-المبحث الأول: دوافع عسكرية

2- المبحث الثاني: دوافع اقتصادية

3-المبحث الثالث: دوافع خاصة بالرحالين و المستكشفين

4- المبحث الرابع: تنامي روح التنافس بين الدول الاستعمارية

تمهيد:

استقر الأمر للاستعمار في الشمال بعد إخماد ثورات الأمير عبد القادر وثورات بومعزة وبوبغلة وغيرها من عشرات الثورات التي كانت تقوم بها القبائل في مختلف أطراف الجزائر، واتجهت أنظار المعمرين إلى الصحراء الكبرى.

ويبدو أن الحوافز التي دفعت السلطات الفرنسية لغزو الصحراء كانت كبيرة ومتنوعة.[1]

ففي الوقت الذي كان فيه الفرنسيون جادين في الغزو والتوسع إلى الجنوب الجزائري والصحراء، كان اهتمامهم كبيرا بموضوع الموصلات وطرق القوافل القديمة باعتبارها العنصر الأساسي والفعال[2]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ البرجوازية وأرباب الصناعة الفرنسية كانوا يحترقون لكي يروا منتجاتهم تتوغل في الصحراء الكبرى، وعبرها كما لو كانت منطقة نائية من الرّيف الفرنسي.[3]

[1]- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، صفحة 100.

[2]- أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية(1844-1916)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009، صفحة 17.

[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص100.

المبحث الأوّل: الدوافع العسكرية

لما رأت فرنسا أن جنوب الجزائر أصبح حاضنة للمقاومة الجزائرية بل وربط مصيره بمصير المقاومات الشعبية في الشمال، وأصبح يشكل خطرا على الوجود الفرنسي ليس في الجزائر وحسب، كما زودت البعثات الاستطلاعية، العلمية منها والعسكرية، المشروع الاستعماري بالبحوث والتقارير المفصلة عن الأوضاع العامّة للصحراء الجزائرية، كما زودت العسكريين بمختلف الخرائط الجغرافية والطبوغرافية للمنطقة، وما أشرف القرن 19 م على نهايته حتى كانت فرنسا قد أتمت استعداداتها العسكرية، الداخلية منها والخارجية،[1] للقيام بعمل عسكري يضع حدا للتردد الذي طبع السياسة الفرنسية في أقصى الجنوب خاصة الغربي للصحراء الكبرى.

كانت فرنسا تعرف مدى الخطورة التي ستعرض لها قواتها إذا قامت بعمل عسكري كبير، ووجهت جيش عسكريا لاحتلال المنطقة الصعبة والوعرة وما لمسته في العقود السابقة من روح المقاومة لدا السكان وتفاديا لذلك فقد عملت فرنسا على تكثيف الجانب العسكري في البعثات العلمية وتجهيزها تجهيزا عاليا كما لعبت على عنصر المباغتة وذلك بجعل مقدمة الحملة وكأنّها حملة علمية.[2]

- و السبب الحقيقي الذي جعل الاستعمار يريد إحتلال هذه المناطق و منها إقليم توات و تيديكلت هو الحاجة إلى تغطية النفقات الباهضة التي استفدت في تمويل الحملة

[1]- محفوظ رمروم، الاحتلال الفرنسي الأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية وثقافية، جامعة أدرار، صفحة 60-61-62.

[2]- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، صفحة 76-77.

العسكرية و جاء قانون 24 ديسمبر 1908 مستجيبا لحملتها و الذي جاء من أجل التقليل من نفقات الاحتلال العسكري بالجنوب .[1]

- و كانت فرنسا تهدف من هذا الاحتلال على الجنوب الجزائري آو بالأحرى الدافع هو الحفاظ على المراكز العسكرية لإجراء التجارب النووية و الفضائية التي شهدتها فرنسا و هي ذات أهمية كبيرة في إطار الصراع بين الشرق و الغرب، و إستغلالية المنظومة العسكرية الفرنسية، وقد كشفت للمجلة العسكرية الفرنسية في مارس 1959 م حققته الاعتماد على الصحراء في المجال العسكري" ان فرنسا تجد نفسها في وضعية ممتازة من هذه الناحية، ناحية الحاجة الى الميادين الشاسعة في الحرب الحديثة.
- نظرا لاتساع الصحراء و قربها النسبي من الوطن الام، و هذه الوضعية الممتازة من شأنها ان تؤثر تاثيرا كبيرا على تطوير دفاعنا الوطني نظرا لأهمية مشكل الصواريخ و الى مدة ارتباطه بمبدأ التجارب .[2]

[1]– الزين محمد، موقف سكان الجنوب الجزائري من مشروع السياسة الاستعمارية الفرنسية فصل الصحراء عن شمال البلاد–مرحلة – روافد للبحوث و الدراسات– العدد الأول–2016 –جامعة جيعالي اليابس – سيدي بلعباس– ص183–184 .

[2]– بوسليم صالح، جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية بالصحرا الجزائرية 1956–1962 م – مرحلة الحقوق و العلوم الإنسانية –العدد الثاني – الجزائر – ص 554 .

المبحث الثّاني: الدوافع الاقتصادية

أمّا الدوافع الاقتصادية التي دفعت فرنسا على محاولة التوسع في الجنوب الجزائري فهي كثيرة ومتنوعة:[1]

أ. السيطرة على مسالك التجارة العابرة للصحراء:

وقد كانت القوافل التجارية تخترق الصحراء من جميع جوانبها لتصل إلى سودان الغربي، أمّا خطسيرها فكان من الشمال إلى الجنوب أثناء مرحلة الذهاب وبالعكس عندمرحلة العودة.

فقد كان إقليم توات يعتبر نهاية قوافل حوض البحر الأبيض المتوسط ويعتبر إقليم الأزواد بداية لغرب إفريقيا والإقليمان يشكلان ممران طبيعيان لتجارة السودان الغربي.

وقد شكلت القوافل التجارية همزة وصل بين التوات والأزواد وقد ساعد في ذلك معرفة التجار لمسالك الصحراء واكتسابهم خبرة معرفة ودراية بالنجوم ومنازلها.

فقد سلك التجار الطرق الصحراوية المتعارف عليها ما بين غرب إفريقيا وإقليم توات وأصبحت لهم معرفة بأغلب المعابر الصحراوية التي يصعب عبورها خاصة على من ليست له المعرفة بالصحراء ومن أهم هذه المسالك المشهورة التي اعتبرت بمثابة شريان الحياة الاقتصادية في الصحراء:

- مسلك وادي درعة: ينطلق من مراكش نحو تندوف لينتهي ثيمبكتو .
- مسلك وادي ساورة: ينطلق من فاس و مكانس الى ثمبكتو .
- مسلك وهران: ينطلق من وهران الة توات و ثمبكتو .

[1]– إبراهيم مياسي، المرجع السابق، صفحة 78.

- مسلك الجزائر: مدينة الجزائر نحو الاغواط منها مدينة منيعة و يمتد طرابلس الى ثمبكتو.[1]

و هذا و ماجعلهم رواد للتجارة الصحراوية مابين شمالها و جنوبها كما دعت بعض الشخصيات السياسية الفرنسية الإدارة الاستعمارية بأن تقوم بعمل سريع و حاسم، في الجنوب الغربي الجزائري، و قد تجدد هذا النداء بعد الاتفاق الفرنسي الإنجليزي (1890) و الدي أعطى نفودا واسعا لفرنسا في جنوب الجزائر، و سعت السلطات الفرنسية الى تحقيق هذه المعاهدة حتى لا تصبح ورقة ميتة لذلك دعا النائب "إتبان أوجين" الحكومة الى إتباع البرنامج التالي في الصحراء:

1-إنشا ما يعرف بالصحراء الفرنسية سياسيا .

2-عبورها و التحكم فيها .

3-إدارتها بكيفية ملائمة مع سياستها الخاصة و بأقل التكاليف .[2]

كما سيطرت على الصحراء الجزائري كباتنة و بسكرة و الاغواط، و قامت بتكليف الضباط الفرنسيين بوضع حاميات عسكرية و بمساعدة بعض المغامرين و الدين كان لهم دور بارز جدا في سيطرتها على هذه الطرق التجارية و التحكم فيها و هذا من أجل اختراق الصحراء من خلال الجنوب الجزائري.[3]

---

[1]- محمد صالح حوتية، توات و الازواد، الجزء الأول، دار كتب العربي، الجزائر، 2007، ص141-146 .

[2]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 78 .

[3]- محمد بليل، مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر (1850-1918) من خلال وثائق أرشفية، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد 2، 2007، ص 12 .

ب. البحث عن الأسواق التجارية:

بعد نهوض الثورة الصناعية، و تزايد إنتاجها بالمصانع و المخازن و لم تستطيع الأسواق المحلية ان تستوعبه و لم تقدر سياسة فرض الضرائب الجمركية على السلع الواردة من الخارج لمقاومة تزايد الإنتاج المحلي، و لم تستطيع الدول الاوربية الصناعية إيجاد حل الاستعمار، للحصول على أسواق جديدة خارج أوروبا لانتاجها الصناعي، فقاتلت بشكل مخيف، و حالفها الحظ و دلك لنجاحها الحربي و الصناعي الدي اعتبرته أداة لتحقيق دلك.

و لهذا وجدت القوى الكبرى في فرنسا أن جلب الايادي العاملة الرخيصة لصناعة سوق يحقق لها مكسبات و قد رات أراضي إضافة انها قريبة فهي خصبة و صالحة للزراعةو قد تنتج أنواع مختلفة من التمور و لهذا امل المستعمرأنه يوما ما ستكون هذه المناطق الزاخرة مخزونا اوربيا مثل ماكانت عليه في عهد اليونان .[1]

كما استهوت تجارة " العاج" و الطرق العابرة منها المستعمر و التي حققت أرباح طائلة .[2]

ج. البحث عن المواد الأولية:

و كان لقيام الثورة الصناعية و ازدهارها تاثير على الزراعة و الإنتاج الزراعي بحيث شغلت الدول عن الاهتمام بها هذا مانتج عنه نقص في عملية الإنتاج في حين زيادة الطلب على المعادن و المواد الزراعية و الخام، لتشغيل المصانع و تزويدها بما تحتاج اليه حتى لا تتوقف مثل: المطاط، و زيت البترول و الحديد، و غيرها و بهدا تسابقت

[1]– يحي بوعزيز، الاستعمار الأوربي الحديث في افريقيا و آسيا و جزر المحيطات، دار البصائر، 2009،ص 10 .

[2]– ى.ساقليف–ج فاسلييف، موجز تاريخ افريقيا، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ص45 .

الدول الى استعمار الأراضي الغنية و الظفر بها من أجل إستغلال مواردها و طاقتها البشرية لتخدم مصالحها.[1]

- و بعد الدراسات الجيولوجية و البعثات الاستكشافية تبين أن الصحرا تمتاز بكميات طائلة من المعادن و خاصة منظمة توات التي بها معادن كثيرة و متنوعة تحتاجها فرنسا لازدهارها من حيث الصناعة، كما تميز مناطق أخرى على أهم أنواع الفحم الحجري و قد اكتشفها الأستاذ "فلامون" كما أشلر الباحث "رولان" عن المنطقة الشرقية ان تحتوي على مركبات الكبريت و هو يستعمل من طرف السكان لعلاج الجمال المريضة، و أيضا الواحات التواتلصناعة البارود، أما الذهب فكانت فقد كانت تزخر المنطقة منذ القدم، كما ظن المستكشف "صولية" أن المناطق الجنوبية الغربية يتواجد بها أكسيد المغنيز كذلك في بعض الأماكن من هضبة تادميت كما أنه يحتمل بتواجد كل من النحاس و الرصاص و الزنك أما الانتيمون فهو منذ القدم كان يستعمله السكان لتزيين العين و يطلق عليه اسم "الكحل" .[2]
- حيث يقول "الماريشال سولت" في تقريره الذي رفعه للملك و ذلك من أجل توسيع الاحتلال الى الجنوب أنه يجب أن نوطد العلاقة الصحراء الجزائرية و بالضبط المناطق المتواجدة بعد التلال و جعلها صنفا ثالثا من الجهات الإدارية و هذا من أجل استفادة من خيرات الصحراء الجزائرية.[3]
- كما اندهش المستعمر عندما وجد المناخ في الجزائر يشبه الى حد ما مناخ فرنساو منه فإن أنواع الزراعة المنتجة في الجزائر هي نفسها الموجودة في فرنسا لدلك

---

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص10

[2]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص84 .

[3]- أندري نوشي و آخرون، الجزائريين بين الماضي و الحاضر، الاكاديمية الجزائرية للوثائق و المصادر التاريخية، باريس 2، 1960،ص385 .

عزمت على التغلغل داخل الصحراء عسى ان تتمكن من الحصول على منتوجات جيدة لها .

- و منه رأت البروجوازية الفرنسية أن السيطرة على الجزائر سوف تمنحها خير كثير باعتبارها سوق رائجا لبضائعها و موردا هاما للمواد الخام، خاصة في الجنوب الدي يمتاز بالمعادن، حيث قامت فرنسا بمعاهدة "غدامس" بينهم و بين زعيم التوارق الشيخ إيخنوخن، حيث اسرعت فرنسا كسب زعمائها هذه المناطق و ذلك من خلال استدعائهم الى الجزائر العاصمة و الى باريس و ربط معهم صداقة و بهذا قبل رؤساء التوارقابرام معاهدة في 26 نوفمبر 1862 بغدامس مع البعثة الفرنسية التي ذهبت هناك و تتضمن هذه المعاهدة مايلي:[1]
- ميرشار (Mircher) قائد سرية الأركان.
- بوليناك(polignac) نقيب الأركان، منتدب بالمكتب السياسي للشؤون العربية.
- دي فاتون (Devatonne) مهندس .
- إسماعيل بوضربة، مترجم .

و من أهم بنودها:

1-التبادل المشترك لحسن النوايا بين السلطات الفرنسية و مختلف قبائل التوارق.

2-السماح للتوارق بممارسة تجارتهم بكل حرية لبضائعهم و بضائع السودان داخل الأسواق بالجزائر دون أي شروط.

3-التزام التوارق بتسهيل و حماية التجار المفاوضيين الفرنسيين و الأهالي الماريين عبر موطنهم و حماية بضائعهم التجارية.[2]

[1]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، صفحة 80-82 .

[2]- المرجع نفسه، ص82-83 .

4-التزام الولاية العامة للجزائر و زعماء التوارق بتحديد الطرق التجارية المربحة و فتح سبل للتجارة الفرنسية و دلك من اجل اثبات حسن نوايا و حفر آبار جديدة و إصلاح ماهو قائم بها .[1]

و بهذا يمكن القول ان فرنسا قد اجتهدت بكل الطرق من اجل ان تبث وجودها بالجزائر من اجل الاستيلاء على كل ما يخدم مصالحها و يحقق لها أرباح .[2]

خاصة بعد تشجيع مؤسسات و جمعيات النشيطة في مجال تجاري لي عملية الاستكشاف و الاستثمار الاقتصادي، خاصة ان فرنسا كانت تعاني من الكساد الاقتصادي، نظرا لحاجتها للمواد التي تزخر بها منطقة الجنوب لتعمير منطقتها معتمدة على تسهيلات الضباط الفرنسيين و إنشاء طرق و تفكير في مشاريع اقتصادية تخدم مصالحها و هذا من اجل أيضا ربط مستعمراتها بالصحراء الكبرى بتخطيط و تفكير لبناء شبكة من طرقات السكك الحديدية العابرة للصحراء .[3]

---

[1]- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزابرية (1837-1934) دار هومة، 2009،ص415.

[2]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من (1830الى 1989)،الجزء الأول، دار المعرفة، 2006، ص164 .

[3]- محمد بليل، مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي الجزائري(1850-1918)، مجلة روافد للبحوث و دراسات، العدد2، ص12-13 .

المبحث الثّالث: الدوافع الخاصة بالرحالين والمستكشفين

تعرضت القارة الإفريقية والصحراء الكبرى لمنافسة حادّة للقوى الاستعمارية الأوروبية حيث عرفت توافد مجموعة من المستكشفين والمغامرين بهدف التعرّف على كل ما يتعلّق بهذه المناطق، ذلك أنّ الأوروبيين عرفوا الصحراء الكبرى خلال العصور الوسطى وركزواعلى التبادلات التجارية المزدهرة القائمة بين تجار شمال إفريقيا والسودان الغربي، من خلال ما كتبه الرحالة المسلمون وجغرافيتهم.[1]

حيث قامت فرنسا بالعديد من الدراسات الطبوغرافية والمناخية والاجتماعية للمناطق التي وصلها المستكشفون، حتى تتعرّف على مسالك الصحراء ويسهل لها للتوسع جنوبا وتعمل على تظليل الصعاب أمام للمد التوسعي وفتح المعابر، وإنشاء السكة الحديدية وفتح شهية الاستثمار في الزراعات الصحراوية ودخولها والتي تفتقر لها فرنسا والدول الأوروبية.[2]

الجنوب الجزائري يتميّز بخصائص اجتماعية تختلف عن الشمال الجزائري يعد جزء كبيرامن الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا ومن جبال الأطلسي شمالا إلى بلدان الساحل جنوبا، وبطبيعة الحال ستصح تلقائيا منطلقا أساسيا في إستراتيجيةالاستعمار الفرنسي وذلك لاستكمال تحقيق حلمها القديم والداعي إلى تكوين إمبراطورية استعمارية.[3]

---

[1]– محمد بليل، مقاومة الجزائر بين سياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي في الجزائر 1850–1918، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة ابن خلدون، تيارت، صفحة 10.

[2]– رفاف وشهرزاد، مقال حول الاستكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية، جامعة بشار، 2019، صفحة 192.

[3]– عميراوي أحميده، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، دار الهدى، الجزائر، 2009، صفحة 9–10.

اختلفت دواعي وأهداف الرحلات باختلاف أصحابها و الجهات التي تقف وراءهم فمن بين الرحالين من كانت تدفعه المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب والخروج على المألوف، ومنهم من كان يحركه البحث عن مصادر الثروة والمال ويدفعه السعي إلى تحصيل المكاسب المادية من وراء المتاجرة أو الحصول على جائزة معينة.[1]

ومن بين المستكشفين والرحالين كذلك من حدته دواع دينية واضعا على عاتقه مهمة التبشير بعقيدته عن العديد من البقاع المكتشفة ومنهممن كان يقوده الفضول المعرفي وخدمة العلوم والجغرافيا إلى محاولة ملء الفراغات التي كانتإذ ذلك تميّز المناطق الداخلية من القارة الإفريقية ومن بينهم أخيرا من كانت تغري نزعة سياسة استعمارية فيسعى إلى ارتياد مناطق جديدة خدمة لتجارة بلده أو سعيا إلى جمع المعلومات المختلفة عن المناطق المزورة تمهيدا للسيطرة عليها وإخضاعها وتطبيقا للقول الشهيرة "تجب معرفة النّاس للسيطرة عليهم وقيادتهم".[2]

وعلى ضوء ما تعرفوا عليه من طرق القوافل الصحراوية القديمة كل هؤلاء المستكشفين المبعوثون للجنوب توغلوا إلى الصحراء الجزائرية عبر منافذ وطرق رئيسية لإحكام السيطرة عليها وتشكيل شبكة إستراتيجية من المراكز العسكرية وأهم هذه المنافذ طريق آغادير وطريق مدية للجزائر، الطريق العرضي شرق غرب.[3]

---

[1]–محمد وابن محمدن، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، 2003، صفحة158.

[2]– محمد وبن محمدن، مرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3]– عميراوي أحميده، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية دار الهدى، الجزائر، 2009، صفحة 18.

المبحث الرّابع: تنامي روح التنافس بين الدول الاستعمارية

تعرضت القارة الإفريقية والصحراء الكبرى لمنافسة حادّة للقوة بين الدول الاستعمارية الأوروبية وقد اشتد التنافس الأوروبي على القارة الإفريقية في العصر الحديث بين الفرنسيين والانجليز والألمان، وذلك من أجل إيجاد أسواق لمختلف المنتجات الأوروبية وإيجاد مجال لإسكان فائض السكان والتنافس في مجال الدراسات العلمية وتكونت لهذا الغرض عدّة جمعيات جغرافية علمية أهمها: الجمعية الإفريقية بانجلترا وحدّدت أهداف علمية وإنسانية بهدف معرفة الصحراء معرفة علمية والتوغل داخل القارة الإفريقية.[1]

أرادت إنجلترا وفرنسا، أن يكون لها قوة ومجد أيضا لذلك عملت على كسب ذلك عن طريق إضافة أراض جديدة إلى أملاكها. ويتضح هذا في ألمانيا وإيطاليا اللّتان تطلّعتا إلى استعمار مناطق في إفريقيا، ودخلتا بسبب ذلك في تنافس حاد مع غيرهما في المجال الاستعماري رغم تأخرهما عن الركب مدة طويلة.[2]

وعندما احتدم الصراع بين القوى العظمى لوضع خطط مستقبلها حيث نجد بريطانيا وفرنسا، هذه الأخيرة التي ضلّت المنافس العنيد لنشاط الانجليز وتوسعه الاستعماري خارج أوروبا والبحث عن المجال الحيوي لها وبالخصوص في قارتي إفريقيا وآسيا، كل ذلك جر بالفرنسيين هم أيضا إلى أسلوب لاستكشاف والمغامرة والبحث والنشاط.[3]

---

[1]– محمد بن محمدن،المرجع سابق ، صفحة 10.

[2]– يحيى بوعزير، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا، دار البصائر، الجزائر، ط–خ، 2009، صفحة 12.

[3]– أحمد مرويش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهوقار1916، مجلة المصادر، الجزائر، ع11، 2015، صفحة 114.

من أجل التعرف على المناطق الواسعة جنوب الجزائر والتعرّف على إمكانياتها الطبيعية والبشرية والاقتصادية ومعرفة طبوغرافية الصحراء ومناخها وتركيباتها العقلية من خلال دراسات الضباط الفرنسيين أمثال دوفيريالذين وصفو الصحراء وأهميتها الإستراتيجية بالنسبة لسياسة التوسع الفرنسي بالمنطقة.[1]

وقد تجسد ذلك خصوصا بعد عملية إنجاح احتلال الجزائر سنة 1834 الذي جعل من الجزائر قطعة فرنسية بعد مجيء اللجنة الإفريقية إلى الجزائر وقناعة البرلمان الفرنسي سياسة التوسع والاستيطان.[2]

ولقت منطقة الجنوب توسعا كبير من طرف فرنسا وذلك من خلال نصب انشغالها بالصحراء أكثر من اهتمامها بالشمال وقامت بالعديد من الدراسات كما ذكرنا بواسطة المستكشفين للتعرف على مسالك الصحراء وسهل لها التوسع أكثر في الجنوب وتعمل على تدليل الصعاب أمام المد التوسعي وفتح المعابر وشق الطرقات ومد السكة الحديدية وفتح شهية الاستثمار في الزراعات الصحراوية ونحوها التي تفتقر لها فرنسا والدول الأوروبية.[3]

كان مخطط التوسع الاستعماري الانجليزي في إفريقيا يستهدف إنشاء سلسلة قوية من المستعمرات الممتدة من الإسكندرية في الشمال إلى رأس الرجاء الصالح في الجنوب،

[1]– محمد بليل، مقاومة الجزائر بين سياسة التوسع الاستعماري لجنوب الشرقي في الجزائر، المرجع السابق، صفحة 11.

[2]– أحمد مريوش، المرجع السابق، صفحة 114.

[3]–أحمد مريوش، نفس المرجع، صفحة 115.

بينما كانت الخطط الفرنسية تستهدف إنشاء مستعمرات من المحيط الأطلسي في الغرب إلى البحر الأحمر في الشرق.[1]

وكانت السنيغال التي استولت عليها فرنسا في القرن السابع عشر بمثابة نقطة للوثوب الرئيسية للتوسع جنوب الصحاري وأصبحت "فورت مدينة" التي بنيت على مسافة 700 ميل من ساحل البحر على قطعة أرض اشتريت من السلطان المحلي، هي الموقع له ما في للتوسع الاستعماري في غرب السودان.[2]

وتقدم الفرنسيون ببطء وشيدوا مواقع قوية وابرموا معاهدات مع الحكام المحليين ليتيحوا لأنفسهم مهلة من الزمن، واستطاعوا بذلك أن يستولوا على أراضي جديدة ولاقوا في سبيل الاستيلاء عليها مقاومة عنيفة من قبائل وولوف ومالدكى وتوكولود وغيرهم.[3]

لذلك قررت الحكومة الفرنسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أن تقوم بإجراءات وعمليات توسعية سريعة وشديدة لتستولي على الجنوب الجزائري وخاصة الغربي منه وحتى تضمن بسط نفوذها على كامل التراب الجزائري الذي يعد بمثابة جوهرة استعمارها من جهة تمد نفوذها إلى تونس وإلى المغرب الأقصى من جهة أخرى[4]

وهكذا كثفت فرنسا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء وعملت على إبعاد النفوذ الاستعماري منها وخاصة النفوذ البريطاني، حيث تم إبرام اتفاق فرنسي-إنجليزي يوم 5 أوث 1890 جعل كل أراضي جنوب الجزائر مناطق نفوذ فرنسي في خط يمتد من

---

[1]- ي-ساقليف، الموجز في تاريخ إفريقيا- تع:أمين الشريف، دار الطباعة الحديثة، مصر، صفحة 60.

[2]-ي-ساقليف، المرجع سابق، نفس الصفحة.

[3]-ي- ساقليف، الرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4]-إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، صفحة 77.

سايعلى النيجر إلى باروا على بحيرة تشاد وبذلك يمكن لفرنسا من ربط مستعمراتها في شمال إفريقيا بغربها وامتداد احتلالهاإلى الجنوب الجزائري عبر رمال الصحراء.[1]

وفي سنة 1900 استولت فرنسا على جميع الأقاليم الواقعة حول بحيرة تشاد وارتكبوا في سبيل ذلك من الفظائع ما تقشعر له الأبدان، ويقول في ذلك شاهد عيان: "....كانت هناك قرى خاوية على عروشها أينما قلبت الطرف رأيته عظاما آدمية....وأشلاء متناثرة على أديم الأرض تنهش فيها الكلاب الضامرة الضخمة...."[2].

ثم تقدم الفرنسيون جهة الشرق وعندماوصلوا إلىفاشودة الواقعة وادي النيل بالسودان الشرقي وهناك اصطدمت بهم القوات البريطانية القادمة من الشمال فشأت أزمة من أخطر الأزمات في تاريخ التنافس الاستعماري على تقسيم إفريقيا، ولاحت نذر الحرب بين انجلترا وفرنسا ولكن فرنسا تقهقرت فسحبت قوتها من السودان الشرقي.[3]

وبعد ذلك وحدت فرنسا مستعمراتها الإفريقية في إقليم واحد وقامت بتسمية إفريقيا الغربية الفرنسية وحكمته بيد من حديد، نفاذا بدرت من السكان أدنى بادرة سامتهم سوء للعذاب وبذلك هامت إفريقيا الغربية ومنها مال في دياجير الاستعمار الحالكة.[4]

---

[1]– إبراهيم مياسي، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[2]–ي–ساقليفوج–فاسليف، المرجع السابق، صفحة 63.

[3]– ي– ساقليف و ج–فاسليف، المرجع نفسه، صفحة 64.

[4]– ي– ساقليف و ج–فاسليف، المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

الفصل الثاني: السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري

1-المبحث الأول: مساعي فرنسا لفصل الصحراء.

2-المبحث الثاني: إرساليات تنصيرية في مدن الجنوب .

3-المبحث الثالث: نماذج من مشاريع التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية .

4-المبحث الرابع: التعمير الاستيطاني في الصحراء الجزائرية .

التمهيد:

شكل الاحتلال الفرنسي للجزائر عملة ذات وجهين، الوجه الأوّل كان يهدف إلى تحقيق الطموحات السياسية والاقتصادية، أما الوجه الثاني فعمل على طمس الشخصية الجزائرية ومقوماتها الحضارية من اللغة والدين والانتماء ومؤسسات التعليمية والثقافية وذلك من أجل تحويل الأمة الجزائرية أو على الأقل أجزاء منها إلى الديانة النصرانية لهذا اتخذ الاستعمار الفرنسي أداة استعمارية لتحقيق أهدافه في فصل الجزائر عن الدين الإسلامي ومن أجل هذا جند المستعمر جمهور العاملين على الكنيسة من رهبان وأخوات البيض في عدّة مناطق خاصة في الجنوب الجزائري.

المبحث الأول: مساعي فرنسا لفصل الصحراء

كانت فكرة فصل الصحراء تعود إلى مطلع سنة 1957 م، حيث قام الاحتلال الفرنسي بإجراءات عملية لتنفيذ مخططاته بإنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية بتاريخ 10 جانفي 1957 فإن جريدة المجاهد لم تتخلف عن إبراز هذا المخطط الخطير على مستقبل الجزائر وكشف جذوره التي تعود حسب المجاهد إلى ما قبل إنشاء المنظمة المشتركة ذات الصبغة الاقتصادية، حيث سلطت الضوء على القضية في عددها الثامن والتسعين تحت عنوان "أهداف الاستعمار في الصحراء".[1]

كاشفة كل تفاصيل القضية بكل جوانبها وأهدافها، وأبرزت المجاهدات هذه المنظمة ما هي إلى تحصيل حاصل لإجراءات سابقة كمكتب البحوث المنجمية، ومكتب التفتيش عن البترول والمكتب الصناعي الإفريقي وحسب المجاهد فإن الاحتلال بدأ يغير نهجه من الاستعمار القديم إلى الحديث الذي يدور جوهره حول التمسك بالثروة الصناعية.[2]

كانت فرنسا تعاني من كساد اقتصادي نظرا لحاجتها المواد الأولية وإيجاد مستعمراتها تتوفر على المعادن ويمكن الاستثمار فيها خاصة منذ عهد الإمبراطورية الثانية، مما شجع المستوطنين الفرنسيون بالتوجه نحو المناطق الجنوبية لتعميرها، معتمدين على تسهيلات الضباط الفرنسيين وبناء الطرق والتفكير في مشاريع اقتصادية ضخمة.[3]

---

[1]–كديدة محمد مبارك، مناطق أقصى الجنوب الجزائري في إستراتيجية إعلام الثورة الجزائرية المكتوب، جريدة المجاهد عام 1958، المركز الجامعي تامنراست، ص 48.

[2]–نفس المرجع، ص 48–49.

[3]–محمد بليل، مقاومة الجزائر بين السياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر 1850–1918، من خلال وثائق أرشيفية، جامعة ابن خلدون، تيارت، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد الثاني 2017، ص 12.

عقب نهاية الحرب العالمية، وقيام الجمهورية الفرنسية الرابعة جره نقاش حادين السيار الاشتراكي والشيوعي وأحزاب اليمين فخلص هذا النقاش بإصدار قانون يظم الشؤون الجزائر الإدارية والمالية.

وعليه أودعت الحكومة سنة 1951 مشروع قانون يرمي إلى إلغاء أراضي الجنوب وربطها بالجزائر وفقا لرأي الصادر عن الجمعية الجزائري إلا أن لجنة الداخلية في الجمعية الوطنية الفرنسية التي أيدت المشروع لم تلبث أن تراجعت عن تأسيسها له بحجة أن هذا القانون سيضاعف من المساحة الشاسعة حاليا للقطاعات الإدارية الثلاثة في الشمال.[1]

ولعل ما يفسر تزاحم هذه الآراء والاقتراحات هو إدراك فرنسا لأهمية الثروات الطبيعية التي يختزنها باطن الصحراء الجزائرية وذلك دلت إليه الاستكشافات الأولى في مطلع الخمسينات بعدما منحت الرخص الأولى للتنقيب عن المحروقات في الصحراء خلال عامي 1952-1953.[2]

حيث قال ديغول في مذكراته الأمل: وكشفنا منذ عهد قريب حقول البترول والغاز الذي تساعدنا على استكمال حاجتنا الماسة إلى الطاقة الصناعية إذا فثمة أسباب كثيرة كانت تحمل الشعب الفرنسي على أن تعد امتلاك الجزائر أمرا مفيد مستحقا.

---

[1]- بلجة عبد القادر، المناورات الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية وإستراتيجية الثورة لإفشالها، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول، 2015، ص 1.

[2]- بوشارب (عبد السلام)، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية لاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1995، ص 140.

ويجب أن تضل فرنسا متمتعة حاليا بأموال الضخمة التي وظفتها لاكتشاف نفط الصحراء، واستثماره، ونقله وأن تضمن بالنسبة إلى المستقبل أفضلية خاصة فيما يتعلق بالتنقيب عن مصادر بترولية حديثة، واستثمارها.[1]

وأصبح ديغول ينظر بنظرة ثانية إلى قضية فصل الصحراء عن الجزائر وربطها بفرنسا قبل أن تفلت منه، وذلك من خلال تحسين الاستثمار الصناعي والزراعي.

وفي زيارته الثانية إلى الجزائر في ديسمبر 1958 توجه إلى الصحراء، وتوقف بتوقرت وصرح ما يلي:

- "يجب أن تكون الصحراء في الأرض العظيمة للمستقبل بين عالمين عالم البحر الأبيض المتوسط وعالم إفريقيا السوداء ولفرنسا في هذا العالم الضخم اهتمام مباشر ليفهم الذين انظموا إلى الحرب الأهلية أن صفحة للقتال قد طويت، وتبدأ صفحة التقدم والحضارة".[2]
- ومن أجل تنفيذ خطة فصل الصحراء عن الجزائر بعث ديغول ميزاب وزير الدفاع أو ليفي فيشار لمساومة الشيخ بيوض فاجتماع الشيخ ومعهما رئيس الملحقة العسكرية للعقيد "كلان كلاش" وشيخ بلدية غرداية وبعد هذا التفاوض طلب الوزير من الشيخ بإلحاح أن يوافق على فصل الصحراء وتأسيس دولة حرة الصحراء قاعدتها ميزاب.[3]

---

[1]- ديغول شارل، مذكرات الأمل التجديد 1958-1962، تر: سموحي فوق العادة مج: عويدات، ط2، منشورات عويدات بيروت، باريس، 1986، ص 49-127.

[2]- بوشارب عبد السلام، المرجع سابق، ص 142.

[3]- بلجة عبد القادر، المرجع سابق، ص 4.

ثم قال له "أعلن الموافقة وهذه أرب مليارات لتجهيز الدولة وها هي السماعة بيدي أخبر ديغول بهذا في نفس الوقت فأجابه الشيخ بيوض بما أن الصحراء خليها بين السكان في ميزاب والشعبانية فإن القضية الجميع ويجب هذا عن طريق استفتاء.[1]

كان موقف سكان ميزاب رافضا لفصل الصحراء عن الجزائر وعندما أدرك ذلك فرنسا غيرت وجهتها نحو التوارق بإغرائهم وفرض ميشال دويري على الحاج أخاموك عند لقائهم الذي دام سبعة أيام فكرة تنصيبه سلطانا على هؤلاء التوارق في دولة إسلامية تشمل توارق إفريقيا موضحا له بالقول: "وبهذا ينفى الجزائريون هناك وأنتم هنا" غير أن الباي رفض المشروع بمقولته "أنا جزائري ينالني ما ينال باقي الجزائريين".[2]

أ- الأهداف الفرنسية من سياسة الفصل

قامت القوات الفرنسية الغازية باحتلال الجزائر، والتوجه نحو الجنوب الجزائري الكبير بهدف التوسع على حساب أراضي الجزائريين وإقامة إمبراطورية استعمارية كبرى في إفريقيا.[3]

حيث بدأ قادتها وحكامها العامون يفكرون في التوغل إلى عمق الجزائر، المتمثل في جنوبها الكبير من أجل القضاء على انتفاضات الجزائريين، التي كانت تجد في المناطق الداخلية والجنوبية ملجأ أمينا للمجاهدين وثوارها، وقد كشفت لنا التقارير لفيالق الجيوش

---

[1]- أبو العلا (محمد سليمات)، صفحات من الكفاح الخاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، نشر وتوزيع جمعية التراث، غرداية، 2012، ص 207-208.

[2]- بوشارب عبد السلام، المرجع سابق، ص 143.

[3]- محمد بليل، المرجع سابق ، ص 3.

الفرنسية أهمية الصحراء الجزائرية بالنسبة للسياسة الاستعمارية جغرافيا واقتصاديا وسياسيا.[1]

فالموقع المتميز أيضا للصحراء والذي يمتاز بمساحتها الشاسعة وحدودها الطويلة مع البلدان الإفريقية تسمح لمن يمتلكها التواصل مع القارة الإفريقية تجاريا وسياسيا وثقافيا كما أن طبيعة المناخ المداري الحار يسمح بتنوع المنتجات المدارية، عكس المناخ البارد والمعتدل الذي لا يسمح بإنتاجها في فرنسا وأوروبا فأصبحت الصحراء محل اهتمام خاصة وأن معظم أراضي الصحراء سهلية وقابلة للزراعة.[2]

وفي سنة 1954 بدأ الغاز الطبيعي ينبثق أول مرة في جبل برغة قرب عين صالح واكتشف حقل البترول في آثار (مارس) 1956 بمنطقة إيجلي، وبعد أسابيع قليلة اكتشفت البترول في منطقة تيقنتورين وضل هذا الاكتشاف متواصل وهذا يكفي كل احتياجات فرنسا التغطية، وبذلك دعت فرنسا أنها تخلصت من التهديدات المصرية، حول مدور بترول الشرق الوسط بوجود البترول في الصحراء الجزائرية مما يضمن احتياجات فرنسا في المستقبل.[3]

إن الصحراء الجزائرية هي أداة وصل بين الشمال إفريقيا وجنوبها وبالتالي فإنّ فرنسا بارتكازها في الصحراء نصبح على اتصال بالبلدان الإفريقية بعد حصول عدد كبير منها على استعمالها.

---

[1]– محمد بليل، المرجع السابق، ص 6.

[2]– هواري مختار، المشاريع الفرنسية لفصل الصحراء ودور التلاحم الشعبي لسكان الصحراء في اقتتالها، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، 2018، ص 7.

[3]– محمد لحسن ازغيدي، مؤتمر الصومام وتصور الثورة التحريرية الوطني للجزائر 1956–1962، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص 259.

وقد كشفت المجلة العسكرية الفرنسية في مارس 1959 حقيقة الاعتماد على الصحراء في المجال العسكري "إن فرنسا تجد نفسها في وضعية ممتازة من هذه النية ناحية الحاجة إلى الميادين الشاسعة في الحروب الحديثة، نظر لاتساع الصحراء وقربها النسبي من الوطن الأم.[1]

ب- استراتيجية الثورة التحريرية لإحباط مؤامرة فصل الصحراء

أدى موقف الثورة من المشاريع الفرنسية المستهدفة تقسيم الجزائر واستعمال ثرواتها إلى إفشال كل الأساليب التي استعملتها المستعمر من أجل تحقيق تلك الأهداف، كما كانت مشكلة الصحراء المستعمر في إيقاف المفاوضات بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية مرات عديدة.[2]

وكان موقف الحكومة الجزائرية في هذا المجال واضحا وهو (لا) لإيقاف القتال و (لا) لاستغلال، دون اعتراف فرنسا بالوحدة الوطنية للجزائر شمالها وجنوبها وحدة لا تتجزأ.

وواجهت الثورة المناورات الفرنسية بأسلوبين أولهما التحرك السياسي الدبلوماسي وثانيا العمل المسلح وتجنيد الرأي العام الداخلي.[3]

والثورة بدأت أول الشيء من غرداية في أواخر 1955 وتمثل عملها في جمع الأسلحة ونقلها إلى بسكرة عن طريق تقرت، وذكر في ذلك الضابط خبزي محمد في جيش التحرير

---

[1]- دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، مسعود تواتي، محاولات ديغول لفصل الصحراء عن الجزائر مناورة أم حقيقة، دار القصبة للنشر، 2009، ص 151.

[2]-محمد لحسن الزعيري، المرجع سابق ، ص 260.

[3]-نفس المرجع، ص 260-259.

"عينت خلال سنتي 1955 و1956 من طرف قيادة جيش التحرير في الولاية السادسة لاتصال بأعيان ميزاب للمشاركة في الثورة.[1]

وقامت جبهة التحرير بتوسيع نشاطها إلى أقصى الجنوب فأنشئت خلايا بقيادة "محمد بغابة" و "محمد شروف" الذين استعانة "بالحاج موسى أخاموك" الذي جلد رؤساء القبائل بالتوارق.[2]

وقامت مظاهرات تقرت 1961 وورقلة 1962 التي أرغمت فيها الجماهير للوزير الفرنسي للمكلف بالصحراء على إلغاء الاجتماع الذي كان مقررا ببعض أعيان المناطق الجنوبية.[3]

فمباحثات "لوسان" في 1961 بين "جورج بومبيدو" على رأس الوفد الفرنسي و "أحمد بومنجل" على رأس الوفد الجزائري توقفت بسبب الرغبة الفرنسية في توسيع النقاش حول قضية الصحراء الجزائرية باعتبار الصحراء بحر داخليا بين الجزائر والبلدان المجاورة.[4]

وعندما سئل ممثل الوفد الفرنسي "لوي جوكس" عن سبب توقفها قال: "بأن الجزائر بين متمسكين بآرائهم ولذا يجب مهلة للتفكير..."، غير أن هذا التوقف كان سببه قضية الصحراء حيث مازال الطرف الفرنسي متمسكا باشتراك الدولة المحيطة بالصحراء الجزائرية.[5]

---

[1]– أبو لعلا (محمد سليمان)، المرجع سابق، ص 124.

[2]– بن حمودة (أبو علام)، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها الأساسية، دار النعمان للطباعة والنشر، 2012، ص 280.

[3]– بن حمودة بوعلام، المرجع نفسه، ص 554.

[4]–الجندي (خليفة) وآخرون، حوار حول الثورة، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص 426.

[5]– الجنيدي (خليفة) وآخرون، المرجع نفسه، ص 428.

لكن جبهة التحرير لم تستلم ونضمت يوم وطني في 5 جويلية 1961 ضد تقسيم الصحراء ولقيت هذه الدعوة نجاحا تحت شعار "الصحراء الجزائرية" وأبرزت وحدة الشعب أمام المحاولات التي تستهدف الوحدة الترابية ووحدته الوطنية.[1]

[1] الغربي (الغالي)، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء ورد ول الفعل لدولية، الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، ص 267.

المبحث الثاني: الإرساليات التنصيرية في مدن الجنوب الجزائري

الاستعمار والتنصير بالصحراء

لا ريب أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية، توصلا إلى استبعاد إتباعها، أن المعركة بين المبشرين وبين الأديان غير النصرانية ليست معركة دين، بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية، حتى أن يصبح مسيحيا بروتستانتيا أن هوى الكاثوليك مع فرنسة وهوى الارثودكسي مع الروسية، فإذا انتقل هذان إلى البروتستانتية أصبح هواهما مع أميركة في الدرجة الأولى ومع انكلترة في الدرجة ثانية وفرنسا أيضا كانت تخشى قوة الإسلام، الآن الإسلام القوى خطر يهدد استعمارها، قال الكاردينال لافيجيري: "وبينما كان الإسلام على وشك أن ينهار في أوروبة مع عرش السلاطين (من آل عثمان)، كان لا يزال ناشطا في تقدمه وفتوحه على أبواب مملكتنا الإفريقية".

ويبدو بوضوح أن اشد الأديان مراسا في رفض الاستعباد إنما هو الإسلام، ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم، ومع أن التبشير يتناول البودين والبرهميين أيضا فان المقصود الأول بالجهود البشرية هم المسلمون.

أن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر، وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم أثار نهضة...[1]

ولذلك ألف الإرساليات التنصيرية التي كان هدفها نشر المسيحية وتسهيل مهمة فرنسا في الاستيلاء على المناطق الصحراوية الشاسعة، ورأي لافيجري أن أكبر عائق في وجه

فرنسا هناك هو الإسلام.[1]

إذا عدنا إلى مراجعة مسيرة الاحتلال سنجد أن السلطة الزمنية والسلطة الدينية (الروحية) كانت غير محددة لدى الحكام الفرنسيين في الجزائر ولدى رجال الدولة في فرنسا الدين لهم علاقة بالشؤون الجزائرية، منذ تقرير العقيد كليتر فونير الذي قدمه إلى شارل العاشر لاقناعه بالموافقة على الحملة ضد الجزائر، كان الدافع الديني قويا في أدهان الفرنسييننفقد وعده بأن الحملة ستحقق انتصار الكنيسة الكاثوليكية على الإسلام واستعادة المسيحية إلى إفريقية (الجزائر) كما كانت قبل الإسلام.[2]

ولذلك فإن الفرنسيين فهموا أن سقوط الجزائر يعني سقوط قلعة إسلامية وعودة المسيحية الإديارها، وكانوا يغيرون الجنود الذين ماتوا في الجزائر شهداءالمسيحية، وهذا أحد كتاب فرنسا المتحمسين للاستعمار الديني وهو (بوجولا)، يكاد يتفجر فرحا بانتصار الصليبعلى الهلال في الأرض الأفريقية (الجزائر) وقد حفر الفرنسيون منذ الوهلة الأولى عن الآثار المسيحية، مستفيدين من الخرافة تارة ومن كتب الرحالة تارة أخرى، ومن أبرز الأحداث التي هزت المجتمع الجزائري سنة 1834 قصة تنصير عائشة بن محمد، فقد دلت على أهداف الفز والمسيحية وتواطأ رجال الدين ورجال السياسية والعسكرية في ذلك وتسببت في مظاهرات شعبية ومحاكمات واحتياجات في قلب العاصمة واستعملت

السلطات الفرنسية الجديدة كل وسائل التستر والتعمية والتمويه لترك الأمور تتطور على النحو الذي وقعت عليه.[3]

---

[1]–أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، 1830–1954، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 130.

[2]–أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ثقافي ، ج 6، المرجع نفسه، ص 106.

[3]–أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1830)، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992، ص 80–81.

أ- كاردينال لافيجري وسياسته الدينية في الصحراء

مولده ونشأته:

هو شارل مارسيل ألمان لا فيجري ولد 31 أكتوبر 1825 بـ "وير" بالقرب من بايون، والديه من عائلة برجوازية أبوه مفتش لدى مصلحة الجمارك بالمدينة وأمه ذات بابوني، كانت عائلته تتعامل مع الدين في إطار الضيق، على عكس لافيجري الذي أظهر مند صباه توجها دينيا خالصا، كنتيجة للتكوين الذي تلقاه من قبل فتاتين تقيتين كانتا في خدمة والديه، جعلتاه يتلوا الصلوات الأولى ويتعرف على الأنجيل وأخلاقياته، التحق لافيجري بمدرسةSouitleon التي تابع فيها أطفال الجالية اليهودية المقيمين ببايون وفي حالة معارضتهم كان يلجأ لضر بهم وزجرهم يوضع رؤوسهم تحت النافورة، لينصت لاعترافهم بالذنب شارك شارل لافيجري الأول مرة في حقل ديني تقمص فيه، دور القس حيث برزت فيه رغبته لهاته الوظيفة، عندما بلغ عمر الثالثة عشر قابل شارل لاكروا La croix فنصحه بأن يلتحق بالمعهد أولا للوصول إلى هذه المهنة المزروعة فيه من منزل.

التحق شارل لافيجيري بمعهد "لاروسور" أو المدرسة الاكلركية الصغرى للدراسات الأسقفية، ثم قبوله كمتمدرس في الطور الثانوي لمدة سنة واحدة، لكنه غادرها لأسباب مختلفة، حينها اقترح أصدقاء العائلة أن يتوجه إلى باريس سنة 1840 وعمره 15 سنة للالتحاق بالمدرسة الاكليركية سان نيكولا التي يشرف عليها الأسقف أبي دوبنلوب والدي أثر فيه كثيرا بفعل دراسته ودوراته لهؤلاء الشباب الذين سيكونون فيما بعد Congéniaux.[1]

[1]-طيطوش حدة، الكاردينال لافيجري وأبعاد مهمته التبشيرية الجزائر (1867-1880م)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، المجلد الأول، العدد 3، سبتمبر 2019، ص 521-522-523.

ساعد هذا الجو على نمو الروح الكهنوتية لافيجري كأرواح بغية التلاميذ التي صنعها دوبنلوب.

ومن نوفمبر 1847 إلى يونيو 1848، عين لافيجري في منصب ديني فأصبح بمثابة شماس انجيلي بعدما تناوب على درجة البكالوريوس، واصل شارل لافيجري دراسته الأكاديمية بمعهد الدراسات العليا بمدينة كارم وفي 12 جويلية 1850 قدم أطروحتين لنيل الدكتوراه بمعهد الآداب جاءت الأولى موسومة بخواطر حول المدرسة المسيحية بايداس باللغة الفرنسية وفي السن الثامن والعشرين سنة 1853 شارك في اختيارات الكنيسة Saint genévrière بتشجيع من الأب Maret وجاء في المرتبة الأولى وأصبح له المقعد الكنيسي في Le Sorbonne وحصل على لقب دكتور بما أن الدكتوراه في علم اللاهوت ضرورية لهذه الوظيفية.

وبنهاية 1859 وبداية 1860 لقي أكثر من 50.000 شخص مسيحي سوريا حتفهم نتيجة تهجم الأتراك والدروز عليهم فكان موقف لافيجري من تلك الكوارث المتراكمة أن ناشد برجال الدين والكاثوليك في فرنسا الإصلاح أكبر قد من الكوارث، وعاد إلى باريس في 21 ديسمبر 1860 واستقبل استقبالا حارا بعد عودته من سوريا.[1]

مات لافيجري بالجزائر في 26 نوفمبر 1892 عن عمر 67 سنة وحضر جنازته الحاكم العام جول كامبون الذي أشاد بخصاله ودوره.[2]

سياسته الدينية ومجهوداته التنصيرية في الصحراء الجزائرية

وصل لافيجري إلى الجزائر في 15 ماي 1867م وقد جعل من بين أهدافه الرئيسية ما يلي:

---

[1]–طيطوش حدة، المرجع سابق، ص 522–523.

[2]–أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ثقافي، جزء 6، المرجع سابق ،ص 132.

- جعل الجزائر نقطة انطلاق في تنصير إفريقيا.
- إحياء الماضي النصراني الروماني للمنطقة.
- جمر التنصير ركنا أساسيا في البناء الاستعماري لاسيما بعد اتحاد الكنيسة مع أقطاب الاحتلال الفرنسي على وجه الخصوص.

أسس كاردينال لافيجري جماعة الأباء البيض وهي من أنشط البعثات التنصيرية في الجزائر، وقد كان الهدف منها هو منافسة البعثات البرتستانتية التي تدفقت إلى الجزائر من أوروبا وجعل لافيجري للبلدة الحراش القريبة من العاصمة مركزا رسميا لها.

لقد ساهمت فرقة لأباء والأخوات البيض في الحركة التنصيرية بقسط كبير ليس فقط في الجزائر وإنما في إفريقيا كلها حيث يعتبر الكثيرون تأسيسها على يد لافيجري انطلاقة كبيرة في ميدان النّصير الذي بلغ دروته في مدة الفترة.[1]

وكذلك كان تأمين الصحراء وتهدئتها لفتح الطريق أمام المبشرين الذين يقصدون إلى افريقيا السوداء، من الأهداف الأساسية التي تعاونت الكنيسة والسلطة الاستعمارية لتحقيقها تعاونا وثيقا.[2]

ويشير لافيجري بالخير في بدايات المهمة الصحراوية.[3]

ولقد بدأت المقاومة بإفشال كل البعثات الاستطلاعية والوقوف دون الوصول إلى أهدافها وهذا مند سنة 1881 ومثلا عن ذلك بعثة دويري وجو بار سنة 1874 حيث تم قتلهما على يد بعض السكان لمنطقة، ولم يسلم منهم حتى الرهبان من حاولوا الاستطلاع تحت

---

[1]- عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 109-110.

[2]- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، ص 120.

[3]-Bounard Louis, Le cardinal Lavigerie (1828-1919), 1896, Page 389.

لواء الدين والتنصير عبر الصحراء الكبرى الذي عمل الاستعمار على تثبيت النفوذ الفرنسي بالصحراء عن طريق المبشرين، بعد أن طرح كاردينال لافيجري (La Végerie) فكرة التغلغل الصحراء من الشمال إلى الجنوب عن طريق المبشرين عام 1867م.[1]

ولكن المشكلة التي واجهها المبشرون منذ البداية هي أن أرواح سكان شواطئ الصحراء قد أصيبت بعدوى جرثومية خطيرة من الصعب مقاومتها أو الحد من انتشارها.

ومنذ سنة 1876 تحدث الكنيسة جميع العراقيل وبعثت بثلاثة مبشرين وهم الآباء يولميي وموريه وبوشاند عبر الصحراء، وهذا الحدث التاريخي أعلنه كاردينال لافيجري في بيان رنان لا تنقصه العجرفة وروح التحدي، جاء فيه: "في هذه الساعة يوجد ثلاثة من المبشرين من رجالنا في بلاد الطوارق وعما قريب سوف يدخلون إلى ثمبكتو في عزم وتصميم ليستقروا في عاصمة السودان أو يلقوا فيها حتفهم حبا في الحقيقة" ، ولكن التنبؤ الأخير هو الذي شاءت الأقدار أن يتحقق حيث تم قتلهم ولم يتجاوزوا القليعة من قبل الطوارق اللذين عينهم كاردينال بمرافقتهم.[2]

كما تعرضوا للقتل كل من الأب "ريشار" و "موراث" و "بوبلار" في أواخر شهر ديسمبر 1881 عندما ذهبوا في رحلة للوصول إلى غايات نفسها وجدت جثثهم على ربوة صغيرة تدعى تين-كوفار، لهذا أعطى الكاردينال لافيجري تعليماته بإيقاف البعثات التمسيحية للآباء البيض إلى أقصى الجنوب بعض الوقت، وأقتصر نشاطهم على المدن الآمنة كغرداية وورقلة والمنيعة.[3]

---

[1]-إبراهيم العيد بشي، دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي، العدد 11، جوان 2013، ص 31-32.

[2]-إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، ص 110.

[3]-إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934)، دار هومة، ص 2009، ص 426.

ب-الهيئات البشرية في الصحراء

- جمعية الآباء البيض (Père Blancs)

وقد أسس لافيجري جمعية عام 1874.[1]وقد اختلفت فرقة الآباء البيض عن الفرق التي كانت موجودة آنذاك في الجزائر ذلك أن لافيجري أدرك أن اللباس الديني المسيحي لرجال الدين قد يخلق هوة بينهم وبين السكان لذلك أشار على أن يأخذوا بعادات وطرق معيشة ولباس ولغة الأهالي لكي يكون لاحتكاكهم بالأهالي شديدا ومفيدا، وقد ركز كاردينال لافيجري من خلال جمعية الآباء البيض أو الأخوات البيض على ميادين كثيرة أهمها: التطبيب والتعليم حيث أسس الكثير من الملاجئ الأيتام وهذا لسهولة التنصير بينهم.[2]

وكان أول من تطوع في هذه الفرقة الجديدة ثلاثة من رجال الدين بالمدرسة الأكليركية بالقبة، وحتى تتمكن هذه الفرقة من ممارسة عملها وجه لافيجري يوم 10 ماي 1869 نداء إلى كل المدارس الاكليركية بفرنسا يحثها على الانضمام إلى هذه الفرقة ولقد وضع لافيجري قواعد لهذه الفرقة أصبحت تعتمد عليها فيما بعد وهي كما يلي:

1-أن هدف هذه الفرقة من التسلح بالصبر الأن العمل الشاق وطويل والعمل بالحذر لأنه ضروري للبلوغ الأهداف، واستعمال العمل الخيري لأنه الوسيلة الأساسية في التبشير.

2-أن يكون شعار هذه الفرقة، المحبة والتكتل لأن في ذلك قوة تعمل على الوصول إلى الأهداف البشرية.[3]

- فرقة إخوان الصحراء المسلحين:

---

[1]-جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات متحف الوطني للمجاهد، ص 143.

[2]-أحميدة عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 109-110.

[3]خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، (1830-1871)، ص 128-129-130.

مثلت بسكرة إرتكاز فرنسي لانطلاق الدعاية البشرية أمام أي دعاية انجليزية محتملة من جهة غدامس وطرابلس وقد ساعد إنشاء كنيسة بها منذ سنة 1854، واتخاذ لافيجري لها مقر إقامة شتوية له في ظهور فرقة إخوان الصحراء المسلحين والتي ه ي فرقة دينية مسلحة تتولى حماية أعضائها ضد اعتداءات التوارق، وتمتعت بنظام ديني عسكري داخلي صارم للمنضمين إليها وساهمت ذه الفرقة في التمهيد للاستعمار.

فاعتبر الفرنسيون أنها عامل اختصر خمسة عشر عاما من التردد في فتح الجنوب سقوط النفوذ الفرنسي أمام أهالي الجنوب.[1]

- نشاط الأب دوفكو ومنهجه في التنصير

مولده ونشأته:

ولد شارل دي فوكو (Charlesde foucauld) في 15 سبتمبر 1858 بمدينة ستراسبورغ في فرنسا، وقد نشأ بها يتيما، حيث توفي والده في سنة 1864 وهو في طفولته فكلفه شقيقه وجده الأمه الذي كان ضابطا فرنسيا، فتأثر به دوفكو.

تلقي دوفكو تعليمه الابتدائي في أسقفية سانت-أربوقاست بمدينة ستراسبورغ، ثم بثانوية أمبريال بمدينة نانسي إلى سنة 1870 حيث توقفت الدراسة بها بسبب الحرب الفرنسية-الألمانية ثم بثانوية ناسيونال التي ظل بها إلى أن حصل على شهادة البكالوريا وقد كان أول تقرب له بالكنيسة سنة 1872 بكنيسة نانسي.

كانت مدينة باريس محطة أخرى في حياة دي فكو، فبعد حصوله على شهادة البكالوريا، انخرط في الحياة العسكرية حيث التحق بمدرسة سانت-سير في سنة 1876م وقد مثلت

[1]-عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي (1920-1954)/ مذكرة نيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، ص 112.

هذه المرحلة أصعب مرحلة في حياة دو فكو حيث بسبب اهماله وسوء تصرفاته، تعرض خلال إقامة بهذه المدرسة العسكرية إلى (45) عقوبة و (47) إيقاف وكانت رتبته 333 من 386.[1]

وفي سنة 1878 التحق بمدرسة سومير للخيالة، ومن خلالها أرسل سنة 1880 م إلى الجزائر ضمن فرقة عسكرية وكانت هذه أول مرة يسافر فيها إلى بلد غربي حيث مكث عدة أسابيع بين مدينتي عنابة وسطيف.

لقد كان لتواجد دوفكو في الجزائر الأثر في تغير منهج حياته، حيث قدم استقالته لما عاد إلى فرنسا، وتخلى بموجبها عن مركزه العسكري ورتبته العسكرية وذلك سنة 1882 ليتفرغ لخدمة المسيحية والاحتلال الفرنسي عن طريق التنصير لقب دوفكو في 09 جوان 1901 كاهنا من طرف مونتتي بحضور بوني وبعدها بشهور قليلة سافر إلى الجزائر، ليستقر في الصحراء الجزائرية لمدة 15 سنة أي من سنة (1901-1916) وهي سنة قتله بأمر من الحركة السنوية.

ترك دوفكو مؤلفات تنوعت بين كتب، قاموس، رسائل، ثرجمات.

- كتاب:Reconnaissance et itineraire au Maroc مدرسة 1888 م.
- كتاب: نحو لغة تيفياغ.
- قاموس: فرنسي- طوارقي نشر في مجلدين.
- رسائله مع أصدقائه وأهله في فرنسا.[2]

[1]-أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 111-112-113-114.

[2]-أحميده عميراوي، نفس المرجع، ص 114.

– الأجانب ذلك فقد اهتم بلغة تيماشق، لغة الطوارق وقد عمل في هذا الحقل عدّة سنوات بصير العالم ومثابرة وجمع وثائق هامة.[1]

يعتبر دوفكو أكبر مستكشفين الديني للصحراء وأخطر المبشرين قاطبة وخطورة دوفكو تمكن في أنه عقلية علمية من الدرجة الأولى وفي أنه يحصل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان ويجد لذة في المتاعب وفي التضحية بالراحة ومتع الحياة.

بدأ دوفكو حياة الاستكشاف برحلة إلى المغرب الأقصى 1883 و 1884 وقد كانت المعلومات الدقيقة والغزيرة التي جمعها خلال رحلته هذه دليلا قيما وموثوقا به.

وأما طريقة دو فكو في التبشير بالدين المسيحي بين المسلمين في الطوارق فهي بسيطة إلى حد السذاجة، ولكنها دائما يمتزج بها التأمل العميق والتفكير في مصير المسيحية في هذه البلاد بمصير الاستعمار، والقطعة التالية التي سجلها بقلمه والتي تترجمها بالنص توضح لنا منهجه العملي في التبشير وتعطينا فكرة دقيقة عن أهداف نشطه كتب دوفكو: "كتب أطول أثناء جولاتي دائما أن أتقرب من المخيمات السكنية وأن أدخل في علاقات مع الأطفال الصغار وذلك بأن أقدم لهم السكر، ولكنني لم أسجل كتابا في هذه مساعيفقد كان مرآى عندهم أشبه شيء بمرآى الشيطان نفسه...قد يبدو من الغريب أن ألح على موقف أطفال صغار لا تتجاوز أعمارهم ما بين 5 و 12 سنة ولكن الأطفال هم أشبه بمرآة تعكس تفكير آبائهم...."[2].

[1]–إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، شارع زيروت يوسف، الجزائر، ص 115.

[2]–إسماعيل العربي، نفس المرجع، ص 114–113–112.

عاد دوفكو إلى الجزائر سنة 1901، ونزل بالجزائر العاصمة عند الآباء البيض، ثم اتجه إلى وهران وإلى عين الصفراء عن طريق القطار، ثم أكمل طريقه ممتطيا مع مجموعة من الجنود الفرنسيين الخيول، وقد وصلوا إلى بني عباس في 28 أكتوبر سنة 1901 م.

قرر دو فكو الاستقرار في بني عباس لعدم وجود رجل دين مسيحي، يقوم بالطقوس الدينية وسط الجنود، الذين أقاموا مركزا وحصنا للمراقبة وبعد أن حصل دو فكو على الإذن من الحاكم العام الفرنسي والآباء البيض للإقامة في عباس، أقام دير للعبادة وخصص فيه حجرات صغيرة لاستقبال الضيوف ومعالجة المرضى.

باشر دو فكو مهامه التبشيرية في بن عباس، حيث تجلت في تقديم الخدمات الطبية للسكان خاصة أن المنطقة كانت نائية وتعليمهم ما كانوا يجهلوه ربما هذه المشاكل والظروف الصعبة للسكان هي التي ساعدت دو فكو في اختراقهم وتحقيق ما سطره من أهداف.

تمكن دو فكو أثناء إقامته في بني عباس من شراء بعض العبيد، فعمدهم وجعل بعضهم خدما له.

لقد كان لتعيين هنري لابرين (Henri la perrine) قائد أعلى على منطقة واحات الصحراء الجزائرية ولزيارته لصديقه دي فوكو أثر في تحقيق حلم دو فكو وهو التوغل في الجنوب، فكان له ذلك سنة 1904 م.[1]

حيث دامت الرحلة ثمانية أشهر برفقة خادمه وصديقه لابرين وجنود الفرنسيين الذين جابوا قبائل الصحراء المختلفة وقد ترك لابرين صديقه دو فكو عند قبائل الطوارق في مدينة عين صالح لمدة 3 أشهر.

[1]-أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ص 119-122.

بدأ دو فكو في هذه الفترة عمله كمستكشف، مثل ما عمل سابقا في مغرب حيث سجل المعلومات عن الأهالي ويرسم المخططات ويتعلم اللهجة المحلية لعنة تخاطب الطوارق، يقول دو فكو: "ان سكان المنطقة كسكان المغرب يتحدثون لهجتهم المحلية البربرية أكثر من تحدثهم باللغة العربية، هذه اللهجة هي اللغة القديمة لشمال إفريقيا....لقد تعلمتها سابقا ونسيتها وإنّني بصدد تعلمها لأتمكن من التحدث مع الجميع".

انتقل دو فكو إلى غرداية أواخر سنة 1904 إلى جانفي 1905 حيث مكث عدّة أسابيع عند الأباء البيض، لتباحث معهم حول مشروع تنصير لسكان الصحراء جنوبا، خاصة أنه قد التحق به إلى بني عباس قسان الأمر الذي مكن هؤلاء الثلاثة من مضاعفة النشاط المسيحي في الصحراء الجنوبية.

قرر بعدها دو فكو السفر إلى قلب الصحراء تمنراست في جوان 1905 برفقة خادمه بول والقائد العسكري دينوكس وجنود الفرنسيين، وعند وصولهم استقبلهم شيخ التوارق الملقب بـ موسى أق مستان.[1]

وقد اتخذ دو فكو من منطقة تمنراست مستقرا له.

أقام دو فكو في تمنراست ديرا متعدد الوظائف والعبادة، لقد سعى دو فكو في مرحلته الأولى إلى اختراق حياة الطوارق نساء ورجالا وأطفالا، حيث بدأ يعلمهم أشياء كانو يجهلوها كالخياطة والنسيج وبناء المنازل وزراعة وغيرها وذلك لكسب ثقتهم وحبهم ليبدأ المرحلة الثانية وهي تنصيرهم وتطويرهم ليتقبلوا الاحتلال الفرنسي.

تجول دو فكو كثير عبر مناطق الصحراوية المختلفة، وقد صادفت عودته من تجواله عبر تلك المناطق سنة 1907، مجامعة حلت بتمنراست فاشتغل الوضع لكسب ود السكان، فكان يوزع بنفس ما كان عنده من قمح وشعير وتمر على النساء والأطفال

[1]-أحميدة عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، ص 123-122.

وبالفعل أصبح دو فكو يحظى بحب الناس واحترامهم لبساطتهم وسذاجتهم وبرر ذلك عند سقط طريح الفراش وقد اعتنوا به لعدّة أسابيع إلى أن تماثل للشفاء.

بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914 فكر دوفكو في العودة إلى فرنسا غير أنه إثر البقاء في تمنراست لمواصلة مهامه التبشيرية والاستعمارية إلى قتله 1916 م.[1]

وخلاصة القول فشارل دو فكو يعتبر من المنصرين الفرنسيين الذين اضطروا بدور كبير في خدمة الاحتلال الأوروبي في البلاد العربية لاسيما الاحتلال الفرنسي في الجزائر وتحديدا في صحرائها، حيث عده المؤرخون من الطلائع التي مهدت لاحتلال الصحراء ونشر المسيحية في إفريقيا.[2]

[1]-أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، ص 124-126.

[2]-أحميده عميراوي، نفس المرجع، ص 126.

المبحث الثالث: من مشاريع توسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية

لاشك أنه لكل دولة استعمارية خطة عمل تسعى من خلالها لفرض سيطرتها وترسيخ وجودها الفعلي بالمناطق المستهدفة، وتعتبر فرنسا إحدى أهم هذه الدول التي ما انفكت تعمل على بسط سيطرتها على الجزائر، ونظر الصمود الشعب الجزائري فإنها لم تتمكن من فرض سيطرتها على البلاد وإثر ذلك راحت تتطلع إلى التوسع نحو الجنوب الجزائري، ونظرا للخصوصيات القاسية التي تتميز بها الصحراء فإنّها قامت بمشاريع عدّة الإحكام سيطرتها عليه مشاريع جاءت متباينة في زمانها ومكانها وطبيعتها، فمنها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية، ولكنها مشتركة في الهدف هو تشجيع للتوسع نحو الجنوب الجزائري وتكمن هذه المشاريع فيما يلي:[1]

أ. مشروع البعثات الاستكشافية.

ب. مشروع السكة الحديدية.

ج. مشروع إبطال فريضة الجهاد.

أ. مشروع البعثات الاستكشافية:

لم يكن تفكير فرنسا في توسعها العسكري نحو الصحراء الجزائرية وليد تاريخ الاحتلال أو القضاء على المقاومة الشعبية في المناطق الشمالية إنّما يعود إلى حوالي سنة 1824، إذ تمكن في هذا التاريخ وإلى غاية سنة 1828 الموفد "روني كاي" من الظفر بلقب أول مغامر فرنسي في عمق الصحراء الجزائرية ومع مطلع الخمسينات بدأت الرحلات الفرنسية تزداد نحو الجنوب الجزائري، فقام الدكتور الألماني "هنري بارث" برحلتين رئيسيتين الأولى في سنة 1849 م، والثانية في سنة 1855 ممن طرابلس عبر غدامس

[1]-أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1916-1844)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ص 63-64.

وغات بغزان إلى تشاد وثمبكتو عبر قورارة وتوات وتيديكيلت، وكان برفقته صديقه "ريتشاد صون" و "أفريج" اللذين فقدهما في هذه المغامرة، ولعل من أهم البعثات الاستكشافية بعثة "دوفيري هنري" والتي تعددت الروايات التاريخية في الحديث عنها لدرجة أنه أعتبرها البعض أنها أسطورة لا غيرا، وبرغم من تعرض دوفيري هنري لمرض فقدان الذاكرة إلا أنه نشر له كتاب يعد من أهم المصادر التي تتحدث عن الصحراء الجزائرية كتاب بعنوان "توارق الشمال".[1]

كما ساهم في اكتشاف مساحات شاسعة من الصحراء الجزائرية بعضها معروفة وبعضها خالية هو ورحالة الألماني بارت.[2]

وفي نفس فترة الستينات انطلقت بعثة كل من "ميرسير" و "بولينياك" و "فاتون" و "الطبيبين "هوفمان و إسماعيل بوضربة" باتجاه غدامس سنة 1862 وهي البعثة التي أعطت دفعا قويا للتوغل الفرنسي في الجنوب قصد السيطرة على الطرق التجارية والثروات الاقتصادية الظاهرة آنذاك، ولأنها تمكنت من إبرام اتفاقية مع زعيم التوارقايخنوخن يوم 26 نوفمبر 1862، ومن أهم البنود التي نصت عليها:[3]

1-إقرار الصداقة والتبادل التجاري بين السلطات الفرنسية ورؤساء مختلف فروع وقبائل التوارق.

2-يلتزم التوارق بتسهيل وحماية عبور المفاوضين الفرنسيين لبلادهم ذهابا و إيابا إلى بلاد السودان، وحماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا المكوس العادية.

3-تلتزم السلطات الفرنسية وزعماء التوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى بلاد السودان.

---

[1] أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، ص 64-66.

[2] -إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، ص 89.

[3] -أحميده عميراوي، نفس المرجع، ص 70-71.

4-تهيئة الأجواء المناسبة لنشاط التجاري مستمر بين طرفين.

وخلال فترة السبعينات يتضاعف عدد هذه البعثات، وهنا أكتفي بالإشارة إلى ثلاثة بعثات رئيسية، أولها بعثة الجنرال "قاليفيه" التي بدأ في التحضير لها منذ سنة 1866 م، بدراسته النظرية واطلاعه على عادات وتقاليد الصحراويين.[1]

في كتب التاريخ والجغرافيا التي ألفت حولهم في 6 ديسمبر 1872 غادر مرسيليا باتجاه الجزائر، ومنها توجه نحو الجنوب مرورا بكل من الأغواط وغرداية وفي يوم 4 فيفري 1873 أعلن عن بداية رحلته الحقيقة بقوله: "اليوم أبدأ أخيرا الرحلة الاستكشافية الحقيقة، حيث سأتواجد في أصقاع ليست معروفة كثيرا وسوف أجتاز أرضا لم تطأها قدم أوروبي.

أما البعثة الثانية فقام بها ثلاث شخصيات هم "دورنو و دوبرة و جوبار" بدأوا رحلتهم من مدينة تقرت يوم 1 فيفري 1874، باتجاه غدامس إلى أنهم لاقوا حتفهم للظروف الطبيعية القاسية التي واجهتهم أو لتعوضهم لهجوم من طرف سكان الواحات الصحراوية.

أما البعثة الثالثة فبدأت خلال شهر ديسمبر 1874 الكولونيل "فلاترس" التي ضمت عددا هائلا من الضباط الفرنسيين عقد أول اجتماع لها في مدينة بسكرة خلال شهر فيفري 1880 وفي يوم 3 جوان 1880 في العاشر صباحا استقبل القائد الفرنسي "بولا" ومن هناك رجع "فلاترس" إلى باريس ليلتقي المزيد من الدعم المادي والمعنوي على مجهوداته الجبارة في اختراق الصحراء، وخاصة من أصحاب المصالح الاقتصادية كمصلحة الطريق.[2]

---

[1]-أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1916-1844، المرجع السابق، ص 70-71.

[2]-أحميده عميراوي، المرجع نفسه ،ص 71.

ونحن نعرف أن الصحراء كانت تمثل عبر التاريخ الخط الخلفي في اندفاع عن الإسلام ضد طلائع الاستعمار.[1]

ونظرا لهذا الدعم عاد من جديد إلى الجزائر وكله حيوية ليوصل نشاطه الاستكشافي في الصحراء، ليبدأ رحلته الثانية باتجاه نحو بلاد التوارق ودراسة إمكانية مد خط حديدي عبر الصحراء الجزائرية وعليه فإن هذه المرحلة ستكون ذو طبيعة علمية واقتصادية وعسكرية.

إن هؤلاء المستكشفين قدموا لنا رصدا هائلا من المعلومات عن الصحراء الجزائرية والإفريقية الكبرى، وهو ما أدى إلى أمرين رئيسين ازدياد رغبة الحكومة الفرنسية في احتلال المناطق الصحراوية الغنية بثرواتها الطبيعية الظاهرية والباطنية، كما أن الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية يعود إلى ما دونه الضابط الفرنسي "لابي" الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر، وضح فيها تضاريس المنطقة الجنوبية.[2]

كما قامت فرنسا بالعديد من الدراسات الطبوغرافيا والمناخية للمناطق التي وصل لها المستكشفون وذلك للتعرف على مسالك الصحراء ويسهل لها التوسع جنوبا.[3]

ب. مشروع السكة الحديدية وخطوطها:

ترجع فكرة مشروع الخط الحديدي العابر الصحراء إلى مهندس "دي دوبونشال" الذي قدم دراسات الأولى منذ 1874 وذلك لمناقشة خط أنكلترا من الرأس (الكاب) إلى القاهرة، وانتقل "دي دوبونشال" إلى الجزائر ليجمع وينسق كل المعلومات الهامة حول الصحراء

---

[1]–إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب 3، شارع زيروت يوسف، الجزائر، ص 64.

[2]–أحميده عميراوي، المرجع سابق، ص 75.

[3]–أحمد مريوش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916، جامعة الجزائر، العدد 11، ص 118.

والسودان، وينشرها في كتاب سنة 1878 لهذا اهتمت الحكومة الفرنسية بتنفيذ المشروع، وبدأت في تجهيز برنامج عريض وطويل للأشغال العمومية لتدقيق مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء.

وبعد تكوين لجنة تحضيرية لمعرفة أرضية المشروع قدم السيد "دي فرانيسنيه" وزير الأشغال العمومية تقريره يوم 12 جويلية 1879 لاشك أن المشروع الخط الحديدي العابر للصحراء، من المشاريع الضخمة ذات الفوائد العديدة وتمثل وجهات النظر ثلاثية، سياسية- اقتصادية- حضارية بالنسبة للمصالح الاستعمارية، إ أن السكة الحديدية في الجزائر عموما وفي الصحراء خصوصا من أولويات السياسة الفرنسية في الجزائر وحاجتها لإنشاء طرق ووسائل اتصال سريعة.

وعممت الخطوط الحديدية على معظم تراب المناطق الشمالية للجزائر ثم بعدها تفرغت لمشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء وقد ظهر هذا المشروع على شكل ثلاث خطوط أيضا هي:[1]

- الخط الشرقي عبر غدامس.
- الخط الوسط من ورقلة وأمقيد نحو مرفق نيجر.
- الخط الغربي عبر توات.[2]

[1]-إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1934-1837)، دار هومة، ص 437-438.

[2]-إبراهيم مياسي، نفس المرجع، ص 440.

ولا شك أن هناك العديد من الأسباب التي دفعت إلى تبني هذا المشروع يمكن حصرها في النقاط التالية:

1-تسهيل عملية تنقل القوافل العسكرية، وللتمكن من القضاء على بؤر التوتر للمقاومة الجزائرية في الجنوب.

2-ربط مراكز الاستعمارية ببعضها البعض على مستوى محلي ودولي ومستعمراتها الأفريقية على مستوى قاري.

3-تنشيط الاقتصاد الفرنسي والعمل على ازدهاره وخاصة قطاع الخدمات.

4-الحد من التجارة القوافل المغربية والطرابلسية والمالية العابرة للصحراء.

كما كان "جول كومبون" شغوفا بإنجاح هذا المشروع في الجزائر، ولذلك سعى إلى حيلولة دون غض الحكومة الفرنسية النظر عن هذا المشروع ولدا سعى للتعاون مع مختلف الأنصار الموالين له في طموحاته ، كزعيم مدينة قسنطينة المهندس "جورج رولان" ومساعده "فوك فرولان".[1]

ويلخص "فوك" قائلاك "أن فرنسا لن تشرع في بناء السكة الحديدية في الصحراء إلا إذا تيقنت بهذا المشروع أنها تنجح في فرض هيمنتها التجارية على البلدان الخصبة.....".[2]

ومما تجدر الإشارة في الأخير حول هذا المشروع هو أنه عرف الكثير من العراقيل والصعوبات التي حالت دون تنفيذه كما تم التخطيط له، عكس بقية مشاريع السكة

[1]-أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 78.

[2]-أندري برنيان وأندري نوشي وآخرون، الجزائريين الماضي والحاضر، ص 394.

الحديدية التي أنجزتها انجلترا في كل الهند وجنوب إفريقيا ويمكن حصر هذه الصعوبات في النقاط التالية:[1]

1-طبيعة الصحراء الجزائرية التي تتميز بخصائص جعلها تنفرد عن بقية الصحاري في العالم، وذلك من خلال توفرها على العديد من المنتفضات الطبيعية غير المستقرة والتي تحول دون رسم خطوط السكة حديدية عدا بعض المناطق القليلة منها.

2-ونظرا لهذه الصعوبات الطبيعية فإن مواجهتها كانت من الصعوبة بمكان وحتى محاولات الاختراق فإنها كلفته الخزينة الفرنسية مئات الملايين من الفرنكات وهو ما ولد ردود فعل رافضة لهذه الخسائر.

3-صعوبة التوفيق بين تكاليف الانجاز والفوائد التي تتحصل عليها من جراء ذلك.

4-الظروف الدولية التي كانت تمر بها فرنسا وهي تلك المنافسة الانجليزية لها في القارة الإفريقية والأسيوية.

5-مرور خط السكة الحديدية على أراضي قاحلة وبدون ثروات وهذا ما سبب إلا عراقيل حصول على ثروات تفيد السلطات الاستعمارية.[2]

6-وأمام هذه المعطيات فإن السلطات الاستعمارية زاوجت بين شيئين أثنين هما محاولة مد هذه الخطوط الحديدية والتوسع في الصحراء بالقوة العسكرية قوة ساهمت إلى حد ما في تحجيم المقاومة الجزائرية.

7-تخوف رجال الأعمال والمستثمرين من المغامرة بأموالهم في سبيل انجاز هذه المشاريع رغم وجود العديد من التحفيزات والإغراءات.[3]

---

[1]-أحميده عميراوي، المرجع السابق ،ص 86-87.

[2]-أحميده عميراوي، المرجع نفسه، ص 87.

[3]-أحميده عميراوي ،المرجع نفسه، نفس الصفحة .

وبما أن الخط الحديدي العابر للصحراء الجزائرية قد يبتعد ويتفاوت الحدود الحالية للصحراء الجزائرية، فإنه يمكن لهذا المشروع جلب كل التيارات التجارية الدولية إلى الصحراء، لأنها تخدم التنمية المحلية كونها مصدر الثروات الإيالة وأساس كيانها السياسي وأنها تشكل بمفردها أكبر جزء يعتمد عليه مكانه[1]، هذا من صالح الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ورغم التكلفة الباهظة، فإن فرنسا قد عزمت على إنجاز هذا المشروع الذي كلنا مقدر بـ: ثلاثة آلاف كيلومتر قد استغرقت أكثر من نصف قرن.[2]

وما يمكن قوله في الأخير هو الإقرار بأن السكة الحديدية قد أعطت دفعا قويا للتوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري تحت العديد من الحجج و الذرائع هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الخطوط التي تم إنجازها قد ساهمت في نهب واستغلال الثروات الصحراوية الجزائرية والتي تم توصل اكتشافها آنذاك والتي ساهمت بشكل قوى في تنمية الاقتصاد الفرنسي وازدهاره على حساب شعب الجزائري الذي حرم من استغلاله لصالحه.[3]

ج. مشروع إبطال فريضة الجهاد:

إن السلطات الفرنسية قد أدركت أن الدين الإسلامي هو العامل القوي الذي جعل الشعب الجزائري يدافع عن أراضيه ومقدساته تحت لواء الجهاد وهذا ما اعترف به العديد من المنظرين للفكر الاستعماري، وخاصة من المستشرقين الدين رافقوا الحملة الفرنسية على الجزائر الشيء الذي صعب من مهمة القضاء على المقاومة الجزائرية في القسم الشمالي للبلاد، وهو ما سيدفع بهؤلاء إلى البحث عن وسيلة أخرى يمكنها مساعدتهم في تجاوز هذه الصعوبات.

---

[1]– حمدان خوجة بن عثمان خوجة، المرآة، الطبعة الثانية، الجزائر، 1982، ص 84.

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1934–1837)، دار هومة،طبعة في 2009، ص 444.

[3] أحميده عميراوي، المرجع السابق، ص 87.

إن التحدث عن هذا المشروع هو مقاربة تاريخية لتوضيح ذلك الانسجام والتكامل في سياسة التوسع الفرنسي في الشمال وفي الجنوب، ولذلك فإني لا أسعى في الحديث عن خلفيته التاريخية بقدر ما أريد تقديم نموذجين من النماذج هذا التوسع المبني على التشتت الصف الجزائري بتحويل عامل الدين الإسلامي من وسيلة دفاع عن الوطن إلى وسيلة إقناع بقبول الوجود الفرنسي[1]، رغم تضامن سكان الصحراء في السراء والضراء وحماية الدين الإسلامي وانتشاره، اعتزازهم بالنفس والجهاد في سبيل الله والوطن وشعارهم "الله أكبر" صراع مستمر مع قساوة الطبيعة الصحراوية، جهاد مستمر ضد الاستعمار الفرنسي في جميع أشكاله من جنود ومبشرين....[2]

والنموذج الأول يكمن في دور الذي قام به الجاسوس والمرتد "ليون روش" والنموذج الثاني الذي تعود في تاريخها إلى سنة 1893م، وهي معروفة بفتوى أهل قواورة التي أثارت كثير من الجدل والخلافات في مقاومة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية.[3]

[1] احميدة عميراوي ، المرجع السابق، ص 87-88.

[2] محمد قنطاري، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، دار قصبة للنشر، 2009، ص 174.

[3] أحميده عميراوي، المرجع السابق، ص 88.

المبحث الرابع: التعمير الاستيطاني في الصحراء الجزائرية

في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون جادين في الغزو الفرنسي و التوسع إلى الجنوب الجزائري والصحراء، كان اهتمامهم كبيرا بموضوع المواصلات وطرق القوافل القديمة باعتبارها العنصر الأساس والفعال وذلك بهدف:

- تسهيل عمليات نقل قواتهم العسكرية الغازية، وتوفير ظروف لاستقرار في المراكز العسكرية التي أنشئوها.
- ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط.[1]
- خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق إفريقيا.
- جاء في ملخص تصريح 16 سبتمبر، وهو برغم أهميته فيما يخص الاعتراف بحق تغيير المصير إلا أن القيود التي أحيط بها والتخفيضات الشديدة التي اشتمل عليها أو ألحقت به لتوضيح كادت أن تفقده كل معنى وأهمية، هذا إلى أن توقيت إعلانه كان مناورة فرنسية مكشوفة تهدف إلى مواجهة هيئة الأمم المتحدة والرأي العام العالمي خاصة بعد أن ذاعت وانتشرت أخبار التعذيب والإرهاب الأحمر الذي يقوم به الجيش الفرنسي والمستوطنين الفرنسيون في كامل أنحاء الجزائر.[2]

[1]- أحميده عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، 2009، ص 17.

[2]- يحيى بوعزيز، ثورات القرن العشرين، طبعة خاصة، ص 270.

كان بيجو هو الشخص الوحيد الذي أمنت فيه فرنسا أنها الرجل المناسب لتوسيع النشاط الاستيطاني وخاصة أن هذا الأخير كان يرى في الاستيطان على أنه جزء لا يتجزأ من العمل العسكري بل مرتبط.[1]

شرع بيجو في تنفيذ وتوسيع المشروع الاستيطاني حيث دعا بقوة الفرنسيين والأوروبيين للهجرة باتجاه الجزائر، أين سيجدون فرص أوفر للعيش وتحقيق النّجاح ومنح المستوطنين حق الإقامة في مختلف مناطق الجزائر التربة الخصبة والمياه الكافية دون شروط.[2]

إن هذا التصريح يريد أن يخلق في الجزائر مشكلة عنصرية طائفية، زيادة عن مشكلة المستوطنين الأوروبيين، وذلك بتقسيم سكانها إلى جاليات متعددة إباضية وعربية وقبائلية وهو أمر شديد الغرابة حقا، إذ كيف يعقلان يعتبر سكان البلاد الأصليون القدماء جاليات أجنبية، وأشد غرابة من هذا التصريح أن هذا التصريح ينفي أن يكون هناك في الجزائر شعب أو دولة قبل مجيء الاحتلال الفرنسي.[3]

وكانت سياسة توغل الاستعمار وعلى ضوء ما تعرفوا عليه من طرق القوافل الصحراوية القديمة وما توصلت إليه البعثات الاستكشافية التي كانوا يرسلونها إلى الجنوب توغلوا إلى الصحراء الجزائرية عبر منافذ و طرق رئيسية لإحكام السيطرة عليها وتشكيل شبكة استراتيجية من المراكز العسكرية، وأهم هذه المنافذ نجد ما يلي:[4]

---

[1]–العالي الغربي، العدوان الفرنسي على الجزائر (الخلفيات والأبعاد)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، ص 194.

[2]– المرجع نفسه ، ص 194.

[3]– يحي بوعزيز، المرجع السابق ، ص 270.

[4]– أحميده عميراوي، المرجع السابق، ص 17.

طريق أغادير–داكار عابرا كل من تندوف، قورقبرواكجوجت ليتوجه أخو نواقشوط ليصل إلى سان لويس بالسنغال على مسافة طولها 3000 كلم.[1]

- طريق وهران–البحر الذي يخترق في مساره البالغ أكثر من 2800 كلم نحو الجنوب الجزائري، وقد كان هذا التوغل سبب في انجاز مشاريع اقتصادية هامة منها منطقة صناعية بكوكب كولومب.
- طريق مدينة الجزائر، نمبوكنو الذي ليتجاوز طوله 3500 كلم.
- طريق بون–موزوقبلبيا، وأيضا الطريق العرضيشرق غرب– بعد أن اكتشف البترول في أبار وحاسي مسعود قدم هذا الطريق خدمات كبيرة للتوغل والتوسع الاستعماري.[2]

1–شبكة المدن والواحات الصحراوية:

وتتركب هذه الشبكة من مدن وواحات تعتبر عواصم الأقاليم طبيعية كالزبان وبني ميزاب ووادي سوف والساورة والهقار، وهي مدن أهلية بالسكان تتفاوت ما بين 15000–40000 نسمة وأهمها مدينة بسكرة، الجلفة، غرداية، مدينة بوقرن، كولومب بشار ومدينة تامنغاست عاصمة الهقار.[3]

2–سلب أراضي السكان وتوطين الأوروبيين فيها:

لكي يحقق الاستعمار الفرنسي سياسة الاستيطانية اتبع منذ الأشهر الأولى لدخوله الجرائر سياسة سلب ما يأيدي الأهالي من أرض بشتى الوسائل، حيث أصدرت في أكتوبر 1844 م قانونا، خاصا بالأوقاف والممتلكات العقارية، حيث أن الأرض التي لا تثبت ملكيتها قانونا بعقد مسجل تصبح تابعة لأملاك الدولة مما يخول لها حرية التصرف في

---

[1]– أحميده عميراوي، المرجع السابق، ص 17.

[2]– أحميده عميراوي، المرجع نفسه، ص 18.

[3]–المرجع نفسه، ص 20–21.

هذه الأراضي، إلى جانب هذا هناك قانون آخر لا يقل حظورة وهو قانون 31 أكتوبر 1845 الذي ينص على مصادرة الأراضي كل ما يقوم بعمل عدائي ضد الفرنسيين.[1]

3-اكتشاف البترول في الصحراء الجزائرية:

إن اكتشاف البترول صادف اندلاع وتطور الثورة ذاتها بلا يمكن أن ترجع إلى عهد ما قبل الثورة، حين صادفت الأمانة العامة للمجلس الأوروبي على مشروع ستواسبورغ سنة 1952 الذي يجسد سياسة "الأورو-إفريقيا"، بمعنى اعتبار للقارة الإفريقية مصدرا استراتيجيا للموارد الأولية التي يحتاجها الاقتصاد الأوروبي لكن تبقى سنة 1956 سنة حاسمة، "لأنها أثبتت أن مسألة المحروقات في الصحراء الجزائرية مسألة مراجه".[2]

[1]-إبراهيم لونيسي، الاستعمار الاستيطاني في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، منطقة سيدي بلعباس نموذجا العدد 6-7، 2005، ص68.

[2]-كركب عبد الحق، الاستغلال الفرنسي للبترول الجزائري ورد فعل الثورة الجزائرية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، العدد 1، 2020، ص 383.

الفصل الثالث: البعثات الاستكشافية و العلمية الى الجنوب الجزائري

1-المبحث الأول: البعثات الاستكشافية (1830-1881)

2-المبحث الثاني: البعثات الاستكشافية (1881-1899)

3-المبحث الثالث: رحلة ليون روش الى الحجاز 1841 .

4-المبحث الرابع: فتوى اهل قورارة سنة 1893 .

التمهيد:

تعتبر الصحراء الجزائرية قلب العالم لما تحتله من موقع استراتيجي جغرافي وسطي هام، فهي بمثابة جسر عالمي يربط الأجزاء المختلفة شمالا وجنوبا شرقا وغربا لهذا اهتم الأوروبيين منذ أن خرجوا من قارئهم في العصر الحديث بغية الكشوفات الجغرافية، ومن ثم التوسع الاستعماري فيما وراء البحار، كما أرادوا كشف أسرارها ومعرفة أغوارها، فبدأت تتوافد عليها بعض المغامرين الأوروبيين ضمن حركة الاستكشاف[1]، ومن خلال البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية ودراسة الكتب الرحالين والمؤرخين المسلمين توصلوا إلى المعرفة الجيدة بصحراء الجزائرية ونشاطها.[2]

ويمكن تسجيل البداية القوية للرحلات الاستكشافية الفرنسية في الجنوب الجزائري بتأسيس لجنة الاكتشاف العلمي قبل السلطة الفرنسية عام 1837، حيث شكل القرار الوزاري رسميا عام 1839 هيكلة اللجنة بـ 21 عضو أغلبهم من أكاديمية العلوم وأكاديمية الأدب والفنون "والكليات" العسكرية أي أنّهم من مختلف التخصصات العلمية.[3]وقد نتج عن هذه أعمال هذه اللجنة العلمية طبع ونشر عديد من المؤلفات والمجلات والنشريات، شملت مختلف النواحي المتعلقة بالجزائر وبالجزائريين، وكانت الرحلة العلمية الاستكشافية من الوسائل الهامة التي قدمت مادة خبرية عالية القيمة.[4]

---

[1]– إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837–1934)، دار هومة، 2009، صفحة 395.

[2]– المرجع نفسه، صفحة 407.

[3]– أحميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005، صفحة 49.

[4]– أحميد عميراوي، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

إلاّ أن اهم ما يمكن ملاحظته هو أن أغلب رواد البعثات الاستكشافية كانوا ضباط عسكريين أو فدتهم جهات رسمية (كالحاكم العام ووزارة الأشغال العمومية أو بالتعاون مع جمعيات مختصة في باريس)، وكانت تشكيلة هذه البعثات في الغالب تسير في وجود حماية عسكرية مزوّدة بالسلاح وللذخيرة، إلى جانب أن تقارير المستكشفين وملاحظاتهم ترفع إلى الجهات الحكومية الوصية، خاصة الجمعيات إلاّ بإذن من السلطات الفرنسية.[1]

[1]– عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2019–2020، صفحة 33.

المبحث الأول: البعثات الاستكشافية: (1830-1881)

تميّزت المرحلة الأولى في مجملها بالوتيرة البطيئة في عملية الاستكشاف، نظراً لقوة المقاومة الجزائرية في الشمال والجنوب، حيث كانت في بدايتها بعثات عسكرية استصلاحية، غايتها التعرف على مختلف مسالك الجنوب الجزائري، وتتبع طرق التجارة الصحراوية، والتقرب من سكان الصحراء للتعرف على أنماط عيشهم وعاداتهم وتقاليدهممن أهم مستكشفي هذه المرحلة نجد:[1]

أوّلا: جوزيف ميلشوار دوماس joseph Molchior Doumas

المكتشف دوماس جوزيف هو رجل عسكري قاد فيما بين 1843-1845 عدّة بعثات استكشافية متتالية، من مدينة الجزائر باتجاه مناطق مختلفة من الجنوب الجزائري، ففي رحلته الأولى استكشف منطقة ورقلة ثم الأغواط، وبعدها قبيلة العرعرية بعدها بن ميزاب وغرداية أمّا رحلته الثانية استكشف فيها مناطق عديدة منها تقرت و بوسعادة وبسكرة وزيبان وتبسة.[2]

و أخيرا رحلته الثالثة تعرف فيها على الطريق بين بسكرة وتبسة وأولاد نايل كما تعرف على الطريق الرابط بين تقرت وغرداية والطريق لوؤدي إلى سيدي خالد من تقرت وبعدها من سيدي خالد إلى غرداية أكتشف فيها العديد من الوديان والمستنقعات المنطقة ثم إلى ورقلة التي تعرف فيها على قرية تدعى بوجنان التي تقع في جنوب تقرت تعتمد على 60

[1]- عبد القادر مرجاني، المرجع السابق، نفس الصفحة.

[2]- Eugène Daumas, le Sahara Algérien (études géographique, statistique et historique sur la région au sud des établissements français, Langlois Leclercq, paris, 1845, page 16-103.

أو 80 منزلا "لشة البنا" ومنطقة واد سوف حيث تمكن من ذكر كل المناطق التي زارها ووصفها جيدا.[1]

كما اكتشف خلال رحلته أيضا كل من جبال عمورة ومنطقة عين صالح المتواجدين في الجنوب الغربي وأيضا كل من (استيتن، ميشريا، وراغول، بريزنية) كما اكتشف واحة الأبيض سديد الشيخ، ثم قبيلة ولد سيدي الشيخ وذكر تقسيمها بعدها قرية أريوت ذكر فيها شلالات القبيلة، شلال جبلي (من الجنوب)، كما اكتشف قرية عسلة، بوسمرون، عين الصفرة، سفيسفية، مغرار الفوقاني، والنحتاني، فوصف تلك القصور والواحات والقبلئل المجاورة وقبائل حميان وغيرها ومناطق بلاد توات، ثم تيميمون إلى أن وصل إلى عين صالح فعرف المناطق التي مر بها ووصفها وحدد قبائلها.[2]

ألم دوماس بكل المعارف والمعلومات المختلفة من خلال رحلاته إلى مختلف المدن، حيث ذكر أهم المدن الصحراوية ووصف طريقة عيشهم وتنقلهم في حياتهم اليومية كما وصف وأحصى عدد سكان كل منطقة وطريقة عيشهم وأحصى أيضا القبائل المتواجدة وغنائهم وثرواتهم الحيوانية والطبيعية، تعرف على أهم قبيلة لديهم وهي قبيلة شعانبة برزقة في متليلي، كما وصف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والبشرية بدقة متناهية للعديد من القبائل والقرى الصحراوية كما وصف عدد بيوتها وأهلها كما ذكر لغتهم وثرواتهم ووصف أن رؤسائهم يتميزون عن شعبهم بامتلاكهم الأحصنة وأنهم وسطاء التجارة وأهتم بذكر أبرز الطرق التجارية في المناطق التي زارها بكل التفاصيل.[3]

---

[1]- Eugène Daumas, Op-cit, page 161-184.

[2]- Eugène Daumas, IBid, page 210-306.

[3]-عثمان حساني، البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18-19ن مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006-2007، الصفحة 63-65.

كما وصف التوارق وقال أنّه من الصعب تحديد المنطقة التي يسكنوها بالضبط وأن الحياة الاستثنائية التي يعيشونها هؤلاء اللصوص الرحل تفلت إلى حد ما من تقديم جغرافي معين حيث نجدهم في كل مكان من هذا المحيط الهائل، كما ذكر ملجأهم الوحيد هو جبل هقار وهو العش المعتاد للطوارق.[1]

فإن الرحالة الفرنسيين ومن بينهم دوماس اهتم كثيرا بالصحراء وذلك للتعرف على خباياها ومنها معرف الطرق والمسالك والقوافل المارة بمدنها وكشف كل أسرارها.[2]

ثانيا: لويس أوجين كافيينياك (Louis EugèneCaviaignac)

كافينياك لويس أوجين، جنرال التقسيم الحاكم العام السابق للجزائر، ابن التقليدي جان باتبيستكافينياك ولد في 15 أكتوبر 1802 درس بكلية Sainte Barbe، وتم دمجه في عام 1824 في فوج المهندسين ملازم الثاني في 1 أكتوبر 1826 وملازم أول في 12 يناير 1827 قام كقائد ثاني بحملة موريا عام 1828.[3]

قاد كافينياك بعثة سنة 1847 إلى الجنوب الغربي للجزائر، أين اكتشف الأطلس الصحراوي وميل الأرض ورياح الجنوب وطبيعة تضاريس والغطاء النباتي كما وصف مختلف الحيوانات وذكر أنّه تطلع إلى القبائل البدوية التي تقطع في الصحراء الجزائرية وفي وهران، كما وصف مختلف التلال المتواجدة وطبيعة عيش سكان ووصف مناخ

---

[1]- Eugène Daumas Moeure et coutumes de Algérie tell, Kabylie, Sahara, Paris, 1853, Page 360-361.

[2]– إبراهيم مياسي، الصحراء الجزائرية في ظلال واد سوف، دار هومة، صفحة 71–73.

[3]-Naraisse faucon, Livre D’or De L’Algerie, Editeurs librairie Algerienne et coloniale, Paris, 1889, page 154-156.

واحات منطقة شمالية للصحراء وذكر أنّه أولا سيدي شيكس وغزارة تمور النخيل بالرغم من قلّة منافذ البيع.[1]

كما استطاع أن يجمع من خلال بعثته مختلف المعلومات معتبرة من بعض الواحات الصحراوية كبسكرةوتقرت والوادي وورقلة وغرداية والأغواط لكن نظرا أن حملته لم تدم طويلا ما بين شهر أفري لوماي 1847فقد لم يلم شمل مختلف معلومات المراد الوصول إليها وأنّه سجل في معلوماته تخص مظاهر السطح وأشكال الحكم ونشاط التجارة الصحراوية بين التل والصحراء والسودان، إلا أنّه اعتمدكافينياك على كتابات الرحالة الذين بدقوه منهم الرحالة "كاريت" "Crette" صاحب كتاب (أبحاث في جغرافية وتجارة الجزائر الجنوبية).[2]

انطلقت بعثة كافينياك في 5 ماي متوجها إلى عين السفرة حيث يذكر أنّه تميزت المنطقة بالوديان والكتبان الرملية بعدها وصف استعداد الأهالي والقبائل عند وصوله إلى هناك لمواجهة العدو، حيث كانوا يضعون حجارة على شكل تلال، وتحصينهم خلف سلاسل التلال وفي 6 ماي غادر كافينياك عين السفرة متجها إلى السفيسفة وهناك تمكن من دراسة طبيعة المنطقة والتلال والوديان والجبال التي تحيط بها كما ذكر بعض النباتات النادرة الحصول عليها في مناطق أخرى وصف الهضاب الرملية وتلال الصخرية شديدة الانحدار و المرتفعات التي اجتازها في بعثته.[3]

---

[1]- Felix jacquot, expédition du générale caviaignac dans le Sahara Algerien en avril et mai 1847 Gide et J.Beaudry, libraires éditeur, Paris, 1849, Page 266-278.

[2]–هقاري محمد، دور سكان منطقة أزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى تامنقش، العدد 24، 2016، صفحة 27.

[3]-Felixe jacquot, IBid, Page 260-237.

أعجب كافينياك بالصحراء الجزائرية، حيث يقول في ذلك "يبدوا أن كل الطبيعة تشرك في هذا اللون اللامع من خلال الجانب المدهر للأسطح المضيئة المتناقضة....، والألوان الزاهية والأنواع المتنوعة بشكل لا نهائي"[1]، كما تطرق من خلال حملته إلى كشف منطقة صحراوية جديدة ومثيرة وغريبة في أناسها وأشيائها وتعريف بمسالكها التي لم يسبق الأوروبي الوصول إليها من جهة، مثلما نقدم فائدة جليلة للفلاحين من المعمرين، الذين هم في حاجة إلى ربط الصلة بالصحراء والصحراويين لتنشيط التجارة في المنطقة الجنوبية وما يليها من البلدان المجاورة.

وهكذا استطاع الجنرال كافينياك جمع المعلومات عن الصحراء الجزائرية حول مختلف النواحي وقام بتسجيلها وتدوينها.[2]

ثالثا: هنري دوفيريه (Henri Duverier)

ولد هنري في باريس في سنة 1840 ومنذ وقت مبكر أرسله والده، وهو لا يتجاوز الرابعة عشر إلى ألمانيا لدراسة التجارة، بعد تعلمه اللغة الألمانية والفرنكية في نفس الوقت، أخذ يسجل ملاحظات عن حياة الطيور والنباتات.[3]

وفي سنة 1857 قام برحلة تمهيدية إلى الجزائر زار خلالها الهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي من أوراس، وهي المنطقة التي كان الفنان المشهور فرومانتان قد قام فيها في السنة السابقة ونشر عنها كتابا تغني فيه بحبه وإعجابه بالصحراء تحت عنوان "Unété dans le Sahara"وفي واحة الأغواط تعرف دوفيريه صدفة بأحد رجال

---

[1]-Felixe jacquot, Op-Cit, Page 43.

[2]– سميرة انساعد، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرن 19 و 20 م، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، العدد الثاني، 2012، صفحة 21–22.

[3]– إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، صفحة 82.

الطوارق ولم تلبث معرفتها أن تحولت إلى صداقة غدتها في نفس السائح الأوروبي تلك القصص والأساطير التي سمعها في بلده عن نبل هذا الشعب وشجاعته وصرامته، وقد صادف أن كان الطوارق يستعد لسفر العودة إلى بلده فوجه الدعوة للأوروبي لزيارة الطوارق ولما عاد دوفيريه إلى بلده بعد هذه الرحلة الاستطلاعية نشر دراسة (وهو لا يتجاوز 17 من عمره) عن القبائل البريدية في مجلة الجمعية الشرقية في برلين.[1]

كما تعرف خلال رحلته في الصحراء على وادي العاقوم الذي يطيق ويتجرد وكلما تقدم المرء جنوبا ويلتقي بالشلف وأيضا عن البدو والقبائل الصحراوية أولاد نايل، أعرزليا.[2]

رحلته الأولى:

قام دوفيريه بإعداد رحلته الاستكشافية التي أراد أن تكتسي طابعا علميا بكثير من العناية والتدقيق، فالطلع على كثير من الكتب واستشار كثيرا من المتخصصين الأوروبيين في شؤون الصحراء، وكذلك قام في البداية بتعلم الأدوات وطرق تحديد المواقع طولا وعرضا، وهو أمر حيوي في كل محاولة للقيام باستكشاف علمي، كما طلب إلى المستشرق والناقد الشهير رونان، مده بمعلومات عن الايثنولوجيا والسلالات الصحراوية، وبعد سنة من التحضير والاستعداد تيقن الرحالة من أنه وضع القواعد التي ستكنه من نجاح رحلته وقد كتب فيما بعد يقول: "كنت أعرف جيدا أن الرحلة التي أقوم بها ليست خالية من الأخطار، ولكنني كنت أشعر بثقة كبيرة في قوتي....وأن تنتهي هذه الرحلة على خير وجه وأكمله".[3]

---

[1]– إسماعيل العربي، المرجع السابق،صفحة 83.

[2]- Eugène fromentun, Un été dans le Sahara, Paris, 1879, Page 29.

[3]–إسماعيل العربي، نفس المرجع، صفحة نفسها.

بدأ دوفيريه رحلته من سكيكدة يوم 08 ماي 1859، وذهب مباشرة إلى بسكرة عبر قسنطينة وباتنة، وما لبث أن غادرها يوم 13 جوان ليصل إلى قراره بميزاب بعد خمسة أيام من اليسر، ثم انتقل إلى غرداية ودخلها يوم 21 جوان ليتجه بعد ذلك إلى متليلي علّه يلتقي ببعض التوارق ليساعدوه في زيارة بلادهم.[1]

كان دوفيريه يرتدي أثناء رحلته ثياب الأهالي، ولكنه كان يسافر دون تستر ولم يكن يكتم دينه المسيحي، وقد استعمل اسم "سعد" أثناء رحلته.[2]

ثم عاود هنري دوفيريه الكرة وكان ذلك في فيفري 1860 تحت حماية ممثلي فرنسا في المناطق التي يجوبها، ودون في مذكراته العديد من المعلومات الهامة حول المناطق التي كان يزورها ويمر عليها وقدم وصفا مهما عن منطقة بسكرة، خاصة أن هنري هو عالم جغرافيا بالإضافة لكونه رحالة فدون العديد من المعلومات في هذا الجانب كما دون خلال رحلته عن أهم القبائل الأفريقية المتواجدة ببسكرة في تلك الفترة.[3]

رحلته الثانية:

بعد هذه الرحلة كلف الوالي العام للجزائر الرحالة "دوفيريه" بأن يقوم برحلة إلى توارق من أجل ربط العلاقات تجارية بين فرنسا والتوارق، وقدم له الدعم الكافي للقيام بهذه الرحلة، فغادر بسكرة خلال شهر جوان 1860 م، متوجها إلى مدينة الوادي ومنها إلى غدامس بمساعدة شيخ عثمان– أحد أعيان التوارق الدينيين، دخل دوفيريه مدينة غدامس يوم 11

---

[1]– إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837–1934)، دار هومة، الجزائر، 2009، صفحة 110.

[2]–إسماعيل العربي، المرجع السابق، صفحة 85.

[3]–عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، ط 1، 2016، الصفحة 51–52.

أوث 1860م، ومكث بها مدة طويلة في انتظار وصول توصية قنصل فرنسا بطرابلس ولذلك بقي يبحث عن البقايا الحضارية للمنطقة وعلى التراث الفكري بها، توجد عدّة أثار رومانية ومخلفات لأبراجهم، منقوشة على صخورها كتابات لاتينية (رومانية).[1]

وعند جولته في غدامس وجد رسالة من بعض كبار المسؤولين الفرنسيين يخبره فيها أن الإمبراطور نابليون الثالث، منهمك في إعداد كتاب عن الصحراء في عهد الرومان ويحثه على أن يعمل على توفير الوثائق الإمبراطور عن الصحراء في ذلك الوقت وعلى رغم من الضئالة المالية والصحة السيئة التي كان يعاني منها إلا أنّه راح يعمل بجهد لهذه الغاية، وفي هذه الأثناء وصلته منحة حكومية لسنة 1861 مقدارها 2000 فرنك استعان به لمختلف أغراض الرحلة، وخصوصا لتقديم بعض الهدايا لزعماء القبائل.[2]

وفي 7 سبتمبر ذهب "دوفيريه" إلى زيادة سي بكاي أب سيدي أحمد أصيل ثمبوكتو، ولا ندري من هي هذه الشخصية التي قدم لها هدية من الحكومة المتمثلة في رداء من نسيج صناعي وحافظة تبغ من الفضة، وأظهر له توصية "هنري بارت" لأنّه صديق سي بكاي، لهذا عرض عليه زيارة ثمبوكتو، كما كان على اتصال دائم مع زعيم توارقايخنوخن وغيره من الشخصيات منهم القاضي غدامس الذي سلم له قصاصة من مخطوط إسلامي له علاقة بغدامس.[3]

قام دوفيريه بالرحلة من غدامس إلى فات في رفقة الطوارقيينايخنوكن من الشغف والعناء وصل إلى غات التي كانت مدينة مستقلة ولكنها تقع تحت حماية الطوارق، وقد سجل دوفيريه أن عدد سكان غات في ذلك الوقت يبلغ 4000 نسمة وأنهم أخلاط من البربر والعرب والسود وجدد دوفيريه حسن الاستقبال بين الطوارق فأدمج فيهم بحيث كانوا

---

[1]– إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة 412.

[2]–إسماعيل العربي، المرجع السابق، الصفحة 86.

[3]– إبراهيم مياسي، نفس المرجع، الصفحة نفسها.

يعتبرونه كما لو كان واحد منهم، فكان يحضر الاجتماعات التي يتناقشون فيها في أمور القبيلة.[1]

مهما كان الأمر فأنه لاحظ من خلال رحلاته أن الطوارق لهم سمة مشتركة لاتحادات وهو أن كل واحد منهم قد تبنى كمركز لحياته السياسية نظام جبال منعزلة وملجأ لاستقلاله ومركز لحياته.[2]

رابعا: القائد كولونيو "colonieu" والملازم بوران "Borin"

وفي نفس الفترة أي أواخر سنة 1860 م، قام الرائد "كولونيو" والملازم "بوران" التابعان لدائرة البيض بمحاولة فاشلة الاكتشاف تيقورارين وتوات، فانضما إلى القافلة السنوية التي تنطلق من دائرتي سعيدة والبيض من أجل جلب التمور مقابل بيع الحبوب والأغنام، وتجتمع كل عناصر هذه القافلة بالأبيض سيدي الشيخ وتضم حوالي عشرة ألاف جمل وأكثر من ثلاثة آلاف رجل وامرأة وحوالي ستة آلاف من الأغنام، تحركت القافلة نحو الجنوب في أواخر شهر نوفمبر 1860 م، برفقة الفرقة الفرنسية تحت قيادة "كولونيو" لذلك كانت أبواب القصور الجنوبية تغلق في وجهها حتى يبتعد "كولونيو" ورفيقه عن أسوار القصر.[3]

خامسا: بول صولييه "PeaulSoleillet"

ولد بول صوللييه في نمسة في 29 أفريل 1842 منذ طفولته كان يتمتع بشغف السفر والمغامرة، ذلك الشغف بالمثالية والمجهول الذي يصنع الرجال العظماء، تم تجنيده عام

---

[1]- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، الصفحة 86.

[2]- Henri Duveyrier, Les touareg du Nord, Paris, 1864, Page 02.

[3]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة 413-414.

1870، أصبح عريفا بعد فترة وجيزة بدأ رحلاته العظيمة فقط كانت له فكرة واحدة فقط وشغف واحد وحلم واحد هو غزو الأراضي الشاسعة في غرب إفريقيا بسلام.

مات هذا الرجل الشجاع والقوي وغلبته الحمى في سبتمبر 1886.[1]

بدأ تحضير المغامر "بول صولييه" لي رحلته منذ 1886 م، وذلك بالتعرف على العادات وتقاليد سكان الجزائر والتعود على لغتهم كما درس كتب التاريخ والجغرافيا والكتابات الاقتصادية حول إفريقيا، غادر "صولييه" مرسيليا يوم 6 ديسمبر 1872 ليقوم برحلاته.[2]

1-رحلاته: رحلته الأولى (1866-1867):

وفيها زار الجزائر وتونس لهدف تجاري وقام بتسجيل عادات وتقاليد وأخلاق حضارات هذه الشعوب، أتقن خلالها اللغة العربية ودرس القرآن.

- رحلته الثانية (1872-1874):وهي أشهر رحلاته كلفته فيها المؤسسة العسكرية وغرفة التجارة باستكشاف واستطلاع الطرق التجارية من الجزائر إلى عين صالح من خلالها اكتسب العديد من الصداقات.
- رحلته الثالثة (1878): انطلق فيها يوم الجمعة 15 مارس 1878 م من باريس باتجاه سيجو (Ségou) في إفريقيا وذلك من أجل معرفة الطرق التجارية الموجودة في الناحية الغربية للنيجر وبحث دقيق ومفصل لمملكة سيجو حول الإنتاج والاستهلاك مع السودان الشرقي.[3]

[1]Narciss Faucon, Livre d'or de L'Algérie, Paris, 1889, Page 526-527.

[2]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة 419.

[3]- مرجاني عبد القادر، الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوروبية خلال القرن 19 م "بول صولييه" أنموذجا، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الأغواط، العدد 22، الصفحة 148-149.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها:

- أن مساحة الصحراء بين الجزائر والسنغال تعادل كل أوروبا ما عدا روسيا.
- أن الصحراء مأهولة بالسكان ومزروعة وليست خالية.
- وجود الماء في السطح مثل ميزاب على عمق 60 متر تجد الماء.
- استقرار السكان حول الواحات الغنية.[1]

2-رحلته من الجزائر إلى عين صالح:

في 6 مارس وصل صولييه مشارف عين صالح، لكنه لم يتمكن من دخولها لأن جماعة القصبة لم تسمح له بالدخول وأغلقت الأبواب في وجهه رغم محاولاته العديدة، لذلك اضطر للرجوع وكله حسره على أنه لم يتمكن من التعرف عليها.[2]

إذ كان صولييه قد فشل في محاولته الدخول في علاقات تجارية مع الطريق التجاري الذي خطط لفتحه وفي عينيه كانت المحطة الأولى هي واحة عين صالح حيث تحصل للأغواط والمزاب وذلك لتقديم عينات من منتجات المصنعة لسكان الصحراء الوسطى وناقلات بعض البضائع من الصحراء والسودان.

انطلق صولييه في 16سبتمبر 1872، أبحر من مرسيليا وذهب أولا إلى الأغواط، حيث مكث حتى فقط نهاية العام، ثم زار قصر دجي وأمضى شهر فبراير وجزء من مارس

[1]-مرجاني عبد القادر، المرجع السابق، الصفحة 149.

[2]- إبراهيم مياسي، الصحراء الجزائرية في ظلال وادي سوف (دراسة تاريخية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، الصفحة 86.

1873 فيها، وبعد هذه الرحلة الاستطلاعية في الصحراء الجزائرية أقام خلالها علاقات صداقة من أجل تسهيل رحلاته ومشاريعه القادمة.[1]

مكث فيها ثلاث أيام تعرف خلالها على المدينة، والتقى فيها بأحد التوارق المدعو محمد بن حمدو، حيث زودوه بمعلومات هامة عن عين صالح غادر ورقلة يوم الخميس 12 فبراير على الساعة الثانية مساءا بعد أن ملأ الأكياس بحكم سفره من أجل إطعام نفسه[2] بعدما أتبع الطريق المعتاد عبر الجلفة والأغواط وورقلة، فادر صولييه غرداية ليذهب ليجد الشيخ أحمد بن أحمد في متليلي، ليطلب منه مرافقته إلى جولة في عين صالح وتزويده بوسائل النقل اللازمة وبالعودة إلى متليلي في 14فبراير وجد صولييه هناك سي مولي محمد، شريف تافيليت الذي منه أن يقبله كارفيق سفر، بعدها غادر صولييه والشريف مولي متليلي وذلك بعدما كان صولييه على وشك أن ينهي مهمته الدبلوماسية بين أولاد سيدي الشيخ وفي الطريق اصطدم بعدة قوافل متجهة إلى تيديكالت فنصحها بعدم المحاولة توغل لأن الوضع مضطربا للغاية، فقد انتفضت عدّة قبائل أمازيغية وكانت تقاتل ضد القصور الأخرى في الواحة، استمرت الأخبار المقلقة نفسها في التدفق، والتي قرّر صولييه الإسراع في رحيله.[3]

دخل إلى قصر مليانة في 6 مارس، الذي يقع أقصى شمال واحات تيديكلت غير متأكد من الاستقبال الذي سيتلقاه في عين صالح، أرسل إلى الشيخ عبد القادر، رئيس واحة عين صالح، قدور، خادم الشيخ أحمد، رسالة من غرفة مجموعة تجارة الجزائر، لكن رئيس الواحة عين صالح كانت إجابته أنّه إذا لم يغادر تيديكلت في أسرع وقت ممكن فعقوبته ستكون الموت وأشار إليه أنه تحت حماية سلطان المغرب وأنه لا يريد للشعب

[1]- Paul vuillot, L'exploration du Sahara etude historique Et géographique, préface du colonel prince de polignac, Augustin challamel, Paris 1895, Page 129.

[2]-Paul Soleillet, L'Afrique Occidentale (Algerie, Mzab, Tidikelt), Page 192.

[3]- Paul Vuillot, IBid, Page 127.

الفرنسي الدخول أراضيه، كان هذا الجواب نتيجة مداولات جمعت مختلف قصور الواحات.[1]

ورغم ذلك فقد قدم "صولييه" في كتابه عدّة معلومات هامة، خاصة حول هضبة تدمايت وما جاورها، استفادت منها السلطات الاستعمارية في توسعها إلى الجنوب.[2]

بعدها حاول صولييه التشاور مرة أخرى وطلب الإجابة فقط على رسالة غرفة تجارة للجزائر، حمل شيخ مليانة نفس هذه الرسالة الثانية، التي رفض جماعةعين صالح فتحها في الوقت نفسه طلب عبد القادر من صولييه المغادرة فورا والا فلن يتمكن من الإجابة عما سيحدث نظرا الإثارة السكان بخبر وجود رجل فرنسي على بوابات الواحة، إلا أنّ مرافقيه خافوا من كل هذه التهديدات فصعدوا على أحصنتهم وعادوا، دون الرغبة في سماع تفسيراته، لم يستطع أن يشبعهم إلا في تراجعهم وترك أخيرا قلبه مثقلا لأنه كان قادرا فقط على إلقاء نظرة خاطفة على هدف رحلته.[3]

سادسا: أدولف دوبونشال

أهتم الفرنسيين بالطرق التجارية الصحراوية في سنة 1878، لأدلف المهندس "أدولف دوبونشال" بقيادة بعث إلى الجنوب الجزائري لدراسة مسألة مد خطوط السكة الحديدية فقد قام بوصف المناطق الثلاث المتميزة التي يتعين على السكة الحديدية عبورها أو لربط الجزائر والصحراء والسودان ببعضها البعض، كما قدم تقرير لي الإدارة العليا يبرز فيه المزايا الاقتصادية والسياسية للساحل الجزائري الغرض من هذا التقرير هو تقديم وصف لمهمة أدولف عندما شرع في هذه الرحلة، حيث أوضح في دراسته الأولى، فأن قمع

[1]- Paul Vuillot, op-cit, Page 128.

[2]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة 421.

[3]-Paul Vuillot, op-cit, Page 129.

التجارة المحلية عبر الصحراء نتج فقط عن إلغاء تجارة الرقيق، إلا أنّه لم يتجاوز الأغواط وبرغم ذلك فقد أفاد الإدارة العليا بتقرير حول خطوط التواصل بين الجزائر والسودان.[1]

عندما كلف السيد شوازي بدراسة ومقارنة مسارين الأول من الأغواط إلى منيعة والثاني من بسكرة إلى ورقلة وقد أخذ معه تسعة مهندسين وطبيب حيث كان من حسن حظ السيد تشوسي أن يصادف نفقا يبلغ عرضه 1500 متر يسمح لعبور الصفائح المعدنية مماثلة لتلك التي تم بناؤها في السكة الحديدية للحماية من الانهيارات الثلجية، ثم توجب بعدها إلى ورقلة وكانت رحلة صعبة بعدها بسكرة مرورا بوادي ريغ، وتمكن خلال رحلته إحصاء سكان الواحة الواقعة بين ورقلة وبسكرة وعدد النخيل 430.500 نخلة، كما أكد أن القسم من بسكرة إلى ورقلة أفضل من المقطع من الأغواط إلى منيعة.[2]

سابعا: رحلة ريتشارد وكيرمابون

قام الأب ريتشارد مع زميله كيرمابون بجولة استكشافية ضمن بعثات الأباء البيض، للتعرف على أسرار بلاد الأزجار، بمساعدة خبراء في الصحراء من توارقافوغاس، فانطلقت من غدامس إلى وادي تيكاملت شمال غرب غات، واستغرقت سنة وخمسين يوما، قطفت خلالها البعثة معلومات جغرافية هامة، وربطت علاقات ودية مع بعض فصائل الأزجار وخاصة الاغوغاسوالايمانغاستن ريثما تنصب مراكز للبشر عندهم.[3]

---

[1]- Adolphe Duponchel, le chemin de fer trous Saharien, Jonction colonial entre l'Algérie et le soudan, études préliminaires du projet et rapport de mission avec cort générale et géologique, topographie et lithographier de Boehun, Paris, 1878, Page 4-11.

[2]-Paul gaffarel, L'Algérie (Histoire, conquete et colonisation), Edition Firmin-Didot et cie, Paris, 1883, Page 532-534.

[3]– إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837–1934)، دار هومة للنشر والتوزيع، الصفحة 422.

ثامنا: رحلة دورنو ودوبار وجوبار

كان لدورنو طموحات في اكتشاف الصحراء واختراقها طولا وعرضا، وهذا حينما كان معلما بفرندة لذلك عزم في سنة 1873 على تحقيق هذه الرغبة، فاستعد لرحلته والتقي بإسماعيل بوضربة في قسنطينة ليستفيد من خبرته في البعثات الصحراوية، ثم اتجه إلى بسكرة ومنها إلى توقرت أين إلتقى (بجوبار) الذي انضم إلى دورنوودوبرة وكان جوبار تاجرا بتوقرت وكانت له رغبة في ربط علاقات تجارية مع غدامس رجع يوم 8 جانفي 1874 مصحوبا بالجمال والدليل أحمد بن زرما، وبعد الاستعدادات اللازمة انطلقت البعثة من توقرت يوم 1 فيفري 1874 للذهاب إلى غدامس ولكن أعضاء البعثة افترقوا في الطريق وقتلوا جميعا، ولم يتركوا أثر عن رحلتهم.[1]

تاسعا: رحلة بول فلاترز (Paul flatters)

ولد المقدم فلاترز في باريس في 16 سبتمبر 1832 ودخل سان سير في 8 نوفمبر 1851 وغادر في 1 أكتوبر 1853 ملازما ثانيا في فوج الزواف الثالث عاد إلى الجزائر وأصبح زعيما.[2]ان فلاترز يتمتع بمميزات عديدة أهمها إتقانهل لعربية واللهجة البربرية ملاحظ دقيق في جغرافية البلدان وتواريخها، مما أهله لاختياره من طرف الوزارة الحربية الفرنسية لإشراف على مشروع استكشافي لجغرافية، وطرق الصحراء الوسطى، لربط الصحراء بالسودان عبر الجزائر بخط السكك الحديدية.[3]

---

[1]– إبراهيم مياسي، المرجع السابق ، الصفحة 421.

[2]- Narcisse Faucon, Livre d’or d’Algérie, Paris, 1889, Page 247.

[3]– سميرة دعاشي، الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية ما بين 1850–1945، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2014–2015، الصفحة 99.

1- رحلته الأولى: عقد أول اجتماع لبعثته في بسكرة في أول فيفري 1880 وكانت تتكون من عشرة أعضاء هم: "فلاترس" عقيد المشاة والقائد الأعلى الأسبق للأغواط "موسون" نقيب أركان الحرب و "برانجة" مهندس الجسور والطرقات "روش" مهندس المناجم "برنار" النقيب في سلاح المدفعية "غيارد" الطبيب و "لوشاتولييه" و "بروسلار" مسيري الجسور والطرقات وقد تم تعيين هؤلاء الأعضاء خلال شهر ديسمبر 1879 م.[1]

إلى جانب رئيسها فلاثر، من ضابطين برتبة نقيب، وضابطين برتبة ملازم ثاني، وطبيب ومهندسين ومندوبين عن وزارة الأشغال ولما وصلت البعثة إلى ورقلة، جمعت الحرس الضروري لمرافقتها من الأهالي، و معظمهم من الشعانبة المعروفين بعدائهم للطوارق.[2]

وهكذا انطلق فلاترز في اتجاه الصحراء، محاولا الاتصال بحاكمي طوارق الهقار وأهيطفال وطوارق أجر اخنوخن محاولا من خلال ذلك ربط علاقات صداقة معهما، حتى يسمح له بالمرور عبر أراضي أمقيد وأمدغور إلا أنّه يتلق أي رد منه لذلك اضطر إلى مغادرة المنطقة والعودة إلى ورقلة بتاريخ 17 ماي 1880.[3]

من خلال هذه الرحلة قام بمسح 1200 كيلومتر من الطريق المخطط للسكة الحديدية عبر الصحراء، في الوقت الذي قامت فيه بدراسات جغرافية وجيولوجية، كما سجلت ملاحظات عن أحوال الطقس والحيوان والنبات وفي هذه الأثناء وضع مشروع تمهيدي لخط السكة الحديدية يمتد بين ورقلة وأمقيد على مسافة 600 كيلومتر.[4]

---

[1]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة 423.

[2]- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وتوارق ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، الصفحة 103.

[3]- هاشمي أمال، التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار، مجلة العصور، جامعة وهران، عدد 18-19، 2012، الصفحة 05.

[4]-إسماعيل العربي، المرجع نفسه، الصفحة 104.

ومن ورقلة أكمل فلاترز رحلته يوم ماي 1880 بحوالي مائة بعير متوجها نحو منطقة مزاب سالكة دروبا جديدة عندهم، لهذا قدم فلاترز معلومات وافية حول المناطق التي أجتازها من وصف للكثبان الرملية والصخور والأودية والأشجار والغزلان والحدائق بوادي مزاب وغيرها، وفي 26 ماي غادرت البعثة بلده العاطف واتخذت مجرى وادي مزاب خط سيرها إلى أن وصلت مدينة بني يزقن بغرداية، وبعد تجول البعثة في إحياء مدينة غرداية، غادرتها يوم 28 ماي متوجهة إلى بلدة بريان التي قضت بها يوم 20 و 30 ثم واصلت طريقها إلى أن دخلت مدينة الأغواط يوم 3 جوان على الساعة العاشرة صباحا، وكان في استقبالها القائد الأعلى "بولا" الذي استضافهم عنده[1]، وبعد هذه الرحلة عاد "فلاترز" إلى باريس، حيث استقبل من طرف مصلحة الطريق الصحراوي، والتي سلمت له الأموال اللازمة من أجل إعادة الكشوفات في الشتاء المقبل.[2]

2- رحلته الثانية: عاد فلاترز ورقلة حيث نظم رحلته الثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري واكتشاف بلاد التوارق ودراسة مشروع الحديدي عبر هذه الفيافي، وظهرت هذه البعثة بمظهر الاستكشاف العلمي والسلمي، وتضم هذه البعثة إحدى عشر فرنسيا، وسبعة وأربعين جنديا من الأهالي واثنين وثلاثين سائق بعير، وثمانية من رجال الشعابنة للاستدلال عن المسالك وأربعة توارق، ومجموعة من الجمال تحمل أمتعتهم.[3]

وفي طريق علم "فيرو" قنصل فرنسا العام في طرابلس الذي كتب إلا فلاترز يحدر من نيات الطوارق العدوانية.[4]

---

[1]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة 423.

[2]-نفس المرجع، الصفحة 424.

[3]-إبراهيم مياسي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

[4]-إسماعيل العربي، المرجع السابق، الصفحة 104.

انطلقت البعثة، من ورقلة في ديسمبر 1880 متوجهة إلى سودان وبعد أيام من السير استقرت البعثة بـ إيزامن ثم غادرتها يوم 30 جانفي 1881للبحث والترعف على سبخت أمادقور، والتي تعد مدخلا لبلاد السوادن، وبعد الاستقرار في واد ناجيرت انطلقت البعثة في أول فيفري للبحث عن هذه الشبخة، وانحدرت مع واد تاجيرت نحو الجنوب والجنوب الغربي دخل خنق جبلي إلى أن وصلت إلى سهل منسبط ومغطى بالحجارة السوداء من مختلف الأحجام، حيث لا أثر له للنبات أو الحيوان، لذلك نبه الدليل رئيس البعثة "فلاتر" بأنه لا يعرف هذه الأرض وأنه لا يتذكر طريق السبخة ويجب أن يرجع إلى المسالك المعروفة حتى لا تتيه البعثة.[1]

انتقلت البعثة إلى سبخة أماغور ووصلت إلى بئر تيماسنت في 16 فبراير 1881 لم يتردد فلا ترز في الابتعاد عن معسكر والذهاب بمرافقه صفيفة ودفع جميع جماله أمامه للبحث عن موقع البئر حيث أراد أن يسقي حيواناته، كان هناك حيث لقي هو ورفاقه موتا بطوليا البئر الشائنة التي وقعت فيها المذبحة والمعروفة حتى أن بئر الغرامة، تسمى في الواقع حاسي تاجنوت، في واد انهوين، تقع هذه المنطقة على بعد 108 كيلومتر بين الغرب والشمال من تادنيت، كانت مجموعة من الطوارق تجوب حول فلاترز ورفاقه مثل الضباع وفي بعض الأحيان تقدم لهم تمورا مسمومة بالبيتينا.[2]

[1]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة 424-425.

[2]-بئر غرامة، تلقب بحاسي طاجونت وجدت في بعض المصادر باسم وتقع على بعد 125 كلم شمال شرق ترهاوهاوت التي تقع جنوب شرق تمنغاست على بعد 60 كلم.

إن التقدم الذي أحرزه العقيد فلاترز ورفاقه في جغرافيا الصحراء كبير جدا حيث جمع سجل الطريق وخرائط الطريق والملاحظات الجيولوجية والأرصاد الجوية والفلكية والمستندات والخطابات والتقارير الداعمة لبعض مسارات الرحلة.[1]

وفي مساء المعركة التي وقعت عند بئر الغرامة، وبعدما نجي من أفراد القوة التي كانت تدافع عن فلاترز، أعطى الملازم الأول ديانوس الأمر إلى بقية التراجع وهنا تبدأ المأساة الحقيقية للناجين من رجال البعثة الذين يبلغ عددهم 56 رجلا فبعد أن فقدوا جمالهم، أخذوا يسيرون على الأقدام في الصحراء، وفي 28 مارس وصل عدد صغير من رجال القناصة ممن نجو من الموت وهم الذين قصو المأساة بحذافيرها[2]، بأن أعضاء البعثة الفرنسيين ماتوا جميعا، وأما القوة العسكرية المرافقة التي تتكون من 78 رجلا قد قتل منهم 54 رجلا كما وقع عدد آخر أسرى في يد الطوارق.[3]

[1]- Augustin Bernard et N. lacroix, La pénétration Saharienne 1830-1906, Imprimerie Algérienne, 1906, Page 86-87.

[2]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، الصفحة 105.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة 106.

المبحث الثاني: البعثات الاستكشافية (1881-1899)

رغم هزيمة فلاترز إلا أن البعثات لم تتوقف نهائيا، الآن النتائج التي توصل إليها أثارت أنظار المستكشفين آخرين، كما استمرت البعثات الفرنسية خاصة بعدما وقعت فرنسا اتفاقية برلين 1890 التي تنص على تقسيم إفريقيا بين مختلف القوى الأوروبية، وتزامن هذا مع إنشاء مركز عسكري بالمنيعة، على هذا الأساس تزايد عدد البعثات العسكرية الاستكشافية أبرزها، بعثة فردينوفورو، مابين عامين (1882-1883) كما تشابهت الحملات الواحدة تلوى الأخرى كبعثة بورليي (1883)، وبعثة دولس (1885-1887) الذي قتل من قبل الطوارق.[1]

أولا: غاسطون ميري (Gaston Mery)

قاد بعثتين الأولى أوائل سنة 1892 والثانية أواخر 1892 إلى مطلع عام 1893 حيث كلف في بعثته الأولى من قبل السيد جورج رولان وكذلك من قبل شركة الدراسية لبناء خط سكة حديد من بسكرة إلى ورقلة وتمديد النشاط التجاري بين جنوب ورقلة والتوارق، غادر غاسطون ميري الواد في 15 فبراير 1892 ومعه ثلاثة مواطنين فقط وأربعة جمال محملة بالطعام وأشياء أخرى، من الوادي سيرا على الأقدام بالقرب من حاسي أولاد ميلود، الضفة اليسرى لوادي إغفار، بعدها دخل من حاسي ناصر إلى منطقة الجور التي معزولة ومضخمة بالسراب ومنها اتجه إلى حاسي أولاد صالح في 22 و 23 فبراير تجاوز السيد ميري السلاسل سلانون وصل ميري منطقة البيوض في 2 مارس وغادرها في اليوم

[1]- هاشمي أمال، التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار، مجلة العصور، جامعة وهران، عدد 18-19، 2012، الصفحة 05.

التالي، عند توقف ميري من مواصلة رحلته واضطر للعودة ليكون قد قطع 725 كلم ذهابه و 800 كلم في عودته.[1]

ومن أهم ما توصل إليه غاسطون هو إمكانية مدخل السكة الحديدي في بلاد ممتدة خاصة العين الطيبة وتما سنين في اتجاه بلاد التوارق.[2]

أما البعثة الثانية فقد حقق فيها ميري بموجب التفاوض على صداقة توارقالأزجر لفرنسا وعلى ضمان مرور قوافل فرنسا باتجاه السودان تحت حماية توارق أنفسه، كما قام بانجاز خرائط تلك المناطق التي استكشفها وسجل ملاحظاته اليومية حول الظروف الجوية وجمع معلومات اللازمة للمناطق.[3]

ثانيا: فرناند فورو: (fernandfoureau)

قادر فرناندفورو عدة بعثات استكشافية في صحراء الجزائر في فترة ما بين (1883-1898) بتكليف من الحاكم العام، كان يهدف "فورو" من خلال هذه البعثة هو استكشاف منطقة تقرت، ورقلة ثم سلك الطريق المؤدي إلى عين صالح انطلاقا من غرداية مرورا بحاسي الملح وحاسي تويزة، عين الطيبة.[4]

بينما البعثة الثانية، فقد كلف "فورو" من قبل وزارة الأشغال العمومية والحاكم العام بالجزائر باستكشاف المنطقة ما بين حاسم المسقم وتماسنين[5]، حيث اكتشف "فورو" أنه لا

---

[1]-Paul Vuillot, L'exploration du Sahara, étude historique et géographique Augustin chalamel édition, édition librairie, Paris, 1895, Page 255-258.
[2]-Paul Vuillot, op-cit, Page 258.
[3]-Vallat Gustave, Alacomquete du continent nui, Missions Militaires et civiles de 1892, Page 269-271.
[4]- Paul Vuillot, L'exploration du Sahara, étude historique et géographique Augustin chalamel édition, 1895, Page 225-263.
[5]-Idid, Page 261-263.

يوجد طريق سهل من عين الطيبة إلى حاسي المسقم وسيستغرق الأمر أكثر من عشرة أيام.[1]

تمكن من خلال هذه البعثة إجراء حسابات الارتفاعات والمنخفضات وتحديد التوجهات باستعمال البوصلة، ويعتبر "فورو" أول أوروبي يصل إلى منطقة حاسي المسقم بعد فلاترز.[2]

أما البعثة الثالثة التي انطلقت في ديسمبر 1892 إلى فيفري 1893 والتي كلفت من قبل وزارة التعليم العام والحكومة العامة الجزائرية باستكشاف الطريق بين ورقلة وغدامس عبر الصحراء الجزائرية، ومن خلال هذه البعثة مر "فورو" بكل من حاسي تابنكورتثمحاسيإمولاي عبر طريق الجديد المؤدي إلى غدامس الذي لم يستكشف من قبل، قدم "فورو" من خلال هذه البعثة عدة ملاحظات جغرافية كبيرة لثلاث طرق فرعية لم تقطع من قبل.[3]

وفي البعثة الرابعة التي انطلقت ما بين أكتوبر 1893 ومارس 1894 كلف "فورو" بعبور منطقة التوارق وبلوغ منطقة الأبر فانطلق في رحلته من بسكرة باتجاه مغنية ثم حاسي الحاج موسى حمادة تادميت، تماسنين، ثم اتجهوا بعدها إلى منطقة تاسيلي أزجار، وفي وادي تخمالت التقى بزعماء التوارق ودخل معهم في نقاش من أجل السماح لبعثته بأن تعبر أراضيهم باتجاه الأير، حيث يقول: "لم أكن حرا في تسريع مناقشات التوارق الذين يتسمون بالبطء الشديد في اتخاذ القرار لذلك اضطررت إلى الانتظار حتى اللحظة التي وافق فيها جميع الأعيان على القرارات التالية":

[1]- paul vuillot ,Op-Cit , Page 214.
[2]-Idid, Page 264-286
[3]-Idid, Page 284-287

- وافقوا على سماح لهم العبور أراضي من خلال دفع ما يسمى واجب حده، والذي لا يشترك فيه أي شيء مع المبلغ الذي تدفعه قوافل التجار.[1]

ومن نتائج هذه الرحلة العلمية وضع خريطة تضم حوالي 4000 كلم من المسالك التي عبرها و(138) ملاحظة حول فلك و(05) نقاط حول الارتفاعات وعدّة ملاحظات كانت حول الأحوال الجوية ودرجات الحرارة كما وصف قبائل الأزجر.[2]

تمكن "فورو" من خلال بعثته الخامسة التي انطلقت من بسكرة نحو العين الطيبة، ثم البيوض وتماسنين وعين الحاج ومن هنا إلى بلاد التوارقالأزجر وصل إلى بئر منخور ثم حاسي تاسنيجة ثم عاد إلى بسكرة.[3]

ومن تحقيق عدّة إنجازات واستكشافات من بينها أنه أكتشف عدّة مسالك جديدة وتمكن من تحديد مستويات الارتفاع والانخفاض للمناطق التي مر بها ، كما استطاع دراسة ووصف مختلف النباتات وأسماء الأماكن التي متداولة بين التوارق.[4]

ثالثا: بعثة الأستاذ فلامون

كانت الجزائر من المناطق الجديدة والمثيرة لاهتمام لدى الرحالين الفرنسيين هو ما جعلهم يفكرون في اكتشافها، ولقد تزايدت حركة التأليف حول الصحراء الجزائرية خلال القرن 19

[1]- Fernand foureau, Rapport sur ma mission au Sahara et chez les touareg Azdjer Octobre 1893 mars 1894, Librairie coloniale, Paris 1894, Page 107-114.

[2]- Fernand foureau, Ibid, Page 197-274.

[3]- Fernand foureau, Mon Neuvième Voyage au Sahara et au pays touareg Mars, juin 1897,LibrairieMaritinere coloniale, Paris, 1898, Page 77-120.

[4]–Fernand foureau, Ibid, Page 120-149.

منذ البدايات الأولى للتواجد الاستعماري الفرنسي للجزائر، اختلفت وتباينت الاهتمامات والمواضيع التي درستها باختلاف تخصصاتهم.[1]

لقد فتحت البعثة العلمية للأستاذ "فلامون" إلى عين صالح أفاقا واسعة أمام المشروع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري انطلقت البعثة في خريف 1899 وأخذت طابعا علميا لاكتشاف منطقة تادميت والتعرف على أحوالها الجيولوجية والنباتية إمكانيات مياهها الجوفية وغيرها، غير أنها تحولت في الأخير إلى حملة عسكرية شرسة.[2]

والتي اتجهت منورقلة إلى عين صالح عاصمة منطقة تيديكلت وذلك بمرافقة طابور عسكري لحمايتها بقيادة النقيب بان رايس المكتب العربي بورقلة وكان يتكون من تسعين مهريا، وخمسة عشر فارسا، وأعطيت أوامر لفرقة الصباحية الصحراوية التي كانت أخت قيادة النقيب جرمان بتتبع أثر البعثة للتدخل وقت الحاجة.[3]

غادرت البعثة "مدينة ورقلة" يوم 28 نوفمبر 1899 متجهة إلى عين صالح واتبعت في البداية طريق الرحلة الأولى لـ "فلاكيرس" والتي سلكها سنة 1880 ودونها في مذكراته، فاستفادت منها هذه البعثة.

وصلت هذه الحملة العسكرية إلى "حاسي اينغل" في يوم 9 ديسمبر وانتقلت إلى "حاسي سوقي" يوم 15 ديسمبر ويوم 18 غادرت البعثة لتلتحق بـ "حاسي المقر" ومنه إلى "رق

---

[1]– درعي فاطمة، الأغواط من خلال رحلة الرسام الفرنسي أوجي فرومنثان، مجلة الإنسانية والحضارة، جامعة مصطفى اسطنبول، معسكر، الجزائر، 2023، ص 22.

[2]– إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي للجزائري (1881–1912)، منشورات الملحق الوطني للمجاهد، 1996، ص 108.

[3]–مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر، (1830–1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2014، ص 92.

آجمار" و "وادي مسين" أمّا يوم 26 ديسمبر فقد وصلت البعثة إلى "فقرات الزوى" وفي الغد التحقت بواحة "إيقطن".[1]

واكتشف أهالي عين صالح ونواحيها نوايا هذه البعثة، فاستقروا للكفاح والمقاومة، وما إن علم سكان عين صالح بوصول العدو إلى الفقيقرة حتى تجمعوا تحت قيادة "الحاج المهدي باجودة"[2]، لابسين ملابس مزركشة التي عادة ما تخص الاحتفالات والأيام والأعياد وحملوا أسلحتهم ورايات النصر فامتلأت النفوس شجاعة وشوق، وكانت إستراتيجية المقاومين تقتضي الاقتراب من العدو لأن السلاح المستعمل يتطلب الالتحاق مع العدو وعن قرب.[3]

تعرضت البعثة لهجومات متكررة، طيلة مكوثها بالقصر الكبير لذلك قرر الوالي العام "لافريار" تدعيمها بقوات إضافية فأمر الرائد "بومقلاتان" القائد الأعلى لدائرة لقليعة بالتحرك نحو عين صالح على رأس الفرقة العسكرية الصحراوية المتكونة من مائة وخمسين جنديا ومائة وخمسين من رجال القوم وذلك للسيطرة نهائيا على المنطقة، بعدما وصلت الفرقة إلى القصر الكبير يوم 18 جانفي 1900 اندمجت مع بعثة "فلامون" لترجح كفته ضد الثور، وتقضي على المقاومين، فتمكنت البعثة بعد ذلك من مواصلة سيرها والدخول إلى عين صالح.[4]

---

[1]– إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، الصندوق الوطني، لترقية الفنون والأدب، 2008، ص 104.

[2]– الحاج مهدي باجودا، هو المهدي بن الحاج بن محمد سي الحاج من باجمو بن عمر رئيس قبيلة باجودة، ومقدم الزاوية السنوسية بعين صالح، ولد حوالي 1854، وقاوم التوسع الفرنسي بالصحراء ينظر: إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 505.

[3]– إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية ، ص 105.

[4]– إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، ص 110.

وهكذا وقعت عين صالح وما جاورها من واحات تحت الاحتلال الفرنسي، وهي تتمتع بأهمية إستراتيجية فائقة لأنها تقع على مسافة متساوية ما بين الجزائر شمالا وتمبكتو جنوبا، ومقادور غربا وطرابلس شرقا، وهي ملتقى الطرق الصحراوية التي تربط شمال القارة بالسودان، فضلا على أنها مركز ممتاز لتمويل التوارق.[1]

[1]– إبراهيم مياسي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: رحلة ليون روش إلى الحجاز 1841

ولد ليون روش في غرونبل(فرنسا) في 27 آيلول/سبتمبر 1809 (1224هـ)، ودرس في مدارس مدينة غرونيل ثم في مدارس مدينة طولون وشارك والده في الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830 ، ولما استوطن هناك دعا ولده بالتحاق به، دخل الولد فيها بتاريخ 30حزيران/يونيو 1832 م، تعلم اللغة العربية على يد الشيخ عبد الرزاق بن بسيط وخالط أهل الجزائر في المقاهي وجلسات المحاكم الشرعية، وتولى الترجمة في الإدارة الفرنسية في الجزائر.[1]

غير أن ما تعلمه من اللغة العربية لم يكن كافيا لأداء هذه المهمة على أكمل وجه، فعمل على زيارة جهوده، وصار يقضي الليالي في فك ألغاز الأسماء العربية القديمة ومما ساعده أستاذه عبد الرزاق وعندما تم إحضار قنصل فرنسا منطقة، السيد "دي لابورت" ليشغل منصب المترجم الأعلى في جيش إفريقيا لاحظ أن أغلبية المترجمين لا يعرفون القراءة والكتابة ويبدو أن الضرورة والحاجة الماسة، قد أدت إلى تعيين ليون روش في منصب مترجم رئيسي محلف الجيش الإفريقي من طرف المارشال كلوزيل وذلك لكونه متقن للغة العربية.[2]

وفي أثناء الهدنة بين الأمير عبد القادر وفرنسا طبقا المعاهدة التافنة (1837 م) التحق ليون روش في خدمة الأمير إياء من 23 تشرين الثاني نوفمبر 1837 م، ولازمه في

---

[1]– ليون روش، إثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجار، الحمرا، شارع الكويت، لبنان، 2011، ص 12–13.

[2]–جيدل عبد العزيز، مجلة الجوسسة الفرنسية في الجزائر في العصر الحديث والمعاصر "الجاسوس ليون روش"، جامعة الإمام الأوزاعي، بيروت، 2010، ص 16.

حروبه للداخلية وتنقلاته واجتماعاته، وأصبح آخر كتابه الخاصين وقد أرسله الأمير إلى من علمه الدين الإسلامي، بعد أن أعلن إسلامه.[1]

ويزعم بعض الكتاب الفرنسيون أن ليون روش قد أخلص في خدمته لأمير عبد القادر أن الفضل يرجع له في إنشاء مصانع للأسلحة والذخيرة وتطورها، وتنظيم الجيش، وأكثر من ذلك تأثيره على علاقة الأمير الحازحية مع فرنسا، إذ عمل على إفشال مهمة الرائد دي صال، وقدم نصائح كثيرة للأمير عبد القادر، وبناء أسس دولته بعيدا عن أشغاب الفرنسيين واستخلصوا في النهاية أن روش قد أنكر شخصيته الفرنسية نهائيا، ولم يعد يفكر إلا في بناء مستقبله إلى جانب الأمير وإن صدقنا كل ذلك أليست هي أدلة كافية لإعدام روش؟

فقد كان من الأنصاف أن تنفد الحكومة الفرنسية حكم الإعدام في ليون روش بتهمة خيانة لبلاده كما أعدمت الجندي مونسيل عقابا له وقتله ضابط فرنسي.[2]

ثم قام بالهروب من موت كان محتوم وهرب إلى المسلمين، ولما وصل روش الجزائر، استقبله المارستال فالي على انفراد وتلقى منه جميع المعلومات الدقيقة الخاصة بأحوال الأمير العسكرية والاقتصادية ومواقفه السياسية، ثم كلفه بكتابة كل ما بعرفه عن الأمير وأسماء القبائل الخاضعة له وأسماء تيوخها ومصادر قوتهم وكان روش أهلا لها غير أن المارشال فالي لم يرى فائدة في إقامة روش في مدينة الجزائر فألحقه بمركز المترجمين في البليده بهدف جمع المعلومات والتعرف على الأمير وكلف روش أثر ذلك بعدة مهام جاسوسية في مدينة للقليعة وضل روش في انتصارات مع الجنرالات وبهذا تكون فرنسا قد حصلت على انتصارات عسكرية وسياسية بفضل جهود ليون روش.

---

[1]- ليون روش، المصدر السابق، ص 13.

[2]- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 37.

المتواصلة في متابعة الأمير والضغط عليه من كل ناحية خاصة وأن روش يعلم مدى اتكاء الأمير على المغرب في تدعيم جيشه بالأسلحة والذخيرة وغيرها، فارتفع مقام روش عند كبار العسكريين الفرنسيين ورجال السياسة بسبب جوسسته.[1]

[1]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 38-44.

المبحث الرابع: فتوى أهل قورارة 1893

قبل الحديث عن نص هذه الفتوى يجدر بنا الإشارة أن السلطات الاستعمارية كانت قد مارست العديد من الوسائل التهديدية تجاه القبائل الصحراوية قصد خنق حركة المقاومة وخنق أطراف مواليه لها في الصحراء الجزائرية، وللتفرغ إلى تنفيذ العديد من مشاريعها التوسعية في كل من السنغال ومالي وساحل العاج والكنغو وغينيا، وجاءت هذه الوثيقة في ظل ظروف صعبة كانت تمر بها فرنسا منها:

- ثورة الشيخ بوعمامة.
- زيادة حدة التنافس بينها وبين الدول المستعمرة.
- امتداد النفوذ الفرنسي إلى تونس منذ سنة 1881.
- زيادة طموح وجهاد الحاج عمر الغوني والذي كان يهدف إلى إقامة دولة إسلامية في الصحراء الإفريقية.[1]

وإن كان أحد الشيوخ من العلماء المسلمين في منطقة الجنوب الغربي قد حاول ارسال مجموعة تسؤلات فقهية إلى علماء الإسلام في مكة ليعرف رأي الشرع المحمدي ما يمكن القيام به إن عجز المسلم من مجاهدة للكافر؟ وهل يمكن البقاء تحت رايته إن لم يتعرض المسلمين في عبادتهم وعقيدتهم؟ وفي هذه الأثناء يتمكن المقيم العام بالجزائر "بول كامبون" من استصدار فتوى خلال موسم الحج 1893 م، عندما كلف أحد الحجاج الجزائريين فزوده بالهدايا بالإيصال بالشيوخ المقيمين بمكة والحصول على فتوى حول موضوع الهجرة مقلدا بذلك ما فعله الجنرال "بيجو" حسب زعم روش عندما استصدر الفتوى وكان غرض المقيم للعلم من هذه الفتوى هو استخدامها لمد النفوذ الفرنسي في

[1]-أعميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى (عين مليلة)، الجزائر، 2009، ص 92.

واحات توات ولمجابهة حركة الهجرة التي بدأت تظهر في الأفق في مختلف المناطق بشمال البلاد.[1]

أ. نص الفتوى:

ما قولكم أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكما عليهم ولم يتعرض لهم في أمور دينهم بل يحثهم على إجراء أحكامهم الدينية ووظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية وجعل له معاشا وافرا يأخذه على رأس كل شهر فهل مع هذا تجب عليهم للهجرة أم لا؟ وهل تجب عليهم مقاومته و محاربته مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ وهل بلدهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار إسلام؟ بينوا لنا بيان شافيا قاطعا للنزاع أيدا الله بكم الدين.

ب. الإجابة:

1-قال شيخنا العلامة رحمه الله في جواب نحو المسئول عن المهاجرة واجبه من موضوع لا يتمكن الرجل من إقامة أمور دينية بأي سبب كان ومن لم يقدر على ذلك يجب عليه الهجرة إن قدر عليها بأن كان له مال ليكفيه لمئونة الانتقال.[2]

2-جواب مفتي الشافعية بمكة المكرمة عن السؤال الثاني و الثالث:

- والسؤال الثاني: لا تجب مقاومة الكفار مع عدم القدرة والله أعلم.
- جواب السؤال الثالث: أن بلاد الإسلام لا تصير باستيلاء الكفار عليها دار حرب والله سبحانه أعلم.

3-جواب مفتي المالكية:

---

[1]- احميدة عميراوي ،المرجع السابق، ص 93.

[2]-جمال قنان، نصوص سياسة جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 262-263.

- "الحمد لله وحده اللهم هداية للصواب".
- "أما بعد فإني قد نظرت فيما أفاده السادة الأعلام فوجدته هو الصواب المعمول عليه ولا يكون الاعتياد إلا عليه فجزاهم الله أحسن الجزاء، وأقام بهم شعائر الدين وبالله الاعتماد".
- "أمر برقمه مفتي السادة الملكية بمكة المحمية محمد عابد ابن المرحوم الشيخ حسين".[1]

[1]-جمال قنان، المرجع السابق، ص 264.

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة التوسعية الفرنسية على الجنوب الجزائري

1- المبحث الأول: الانعكاسات الاقتصادية

2- المبحث الثالث: الانعكاسات الاجتماعية

3- المبحث الثالث: الانعكاسات البشرية و المادية .

4- المبحث الرابع: الانعكاسات الإدارية .

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة التوسعية الفرنسية على الجنوب الجزائري

تمهيد:

في الفصل الأخير من دراستنا هذه نعالج الاثار و الانعكاسات السياسية الاستعمارية على الجنوب الجزائري، اذ كانت لعملية التوسع و التوغل الفرنسي في الجنوب الجزائري و السياسات المتبعة عدة نتائج على اصعدة مختلفة، سواء من حي الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي أو البشري و المادي و كذلك الإداري .

فعلى الصعيد الاقتصادي فقد درست لجنة الاستكشاف العلمية التجارة الصحراوية من أوجهتها المختلفة .

أما فيما يخص الانعكاسات على الصعيد الاجتماعي فقد كانت كارثية و أنزفت البنية الاجتماعية لسكان الصحراء، و دلك بتقسيم الوحدة المجتمعية لهده السكان، أما بخصوص السياسة الاستعمارية على الجانب البشري فقد انعكست لاثار وضيعة جدا .

و ذلك من خلال إرهاب أكبر عدد ممكن من السكان الصحراء بشتى الطرق و الوسائل .

أما بالنسبة للصعيد الإداري فقد كانت برئاسة الضباط الدين يسيرو و ينظمو هذه الإدارة في الجنوب.

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة التوسعية الفرنسية على الجنوب الجزائري

المبحث الأول : الانعكاسات الاقتصادية :

لقد كان التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و تغلغله فيه نقمة كبرى و كارثة أعظم على إقصاد أراضي الصحراء، فقد عملت فرنسا على إتباع سياسة تخدم اقتصادها أولا و المعمرين ثانيا، و هذا ما أدى الى انهيار التجارة عبر الصحراء و يتجلى هذا فيمايلي:[1]

أ- السياسة التجارية الفرنسية في الجنوب الجزائري:

- فبعد أن كان المنتوج الرئيسي للتسويق في هذه الأراضي هو التمور، حيث كانت تزرع في منطقة بوسعادة بكميات كبيرة اصبح لا يجد أي مشتري و ذلك بسبب أسواق السودان و المنتجات التقليدية لم تعد رائجة حيث قل عدد الصناع هذه الحرفة .[2]
- كما أن برنار نفسه اعترف بان توغل فرنسا نحو الجنوب، أدى إلى إنهيار التجارة عبر الصحراء خاصة عندما قامت فرنسا بالضغط عليها انطلاقا مناخذها في الجنوب و قد نجم عن ذلك انهيار تجارة القوافل التي استبدلت باادكاكين و المغارات المتمركزة في شمال الصحراء[3] .
- كما ان تغيير وسائل الدفع من المقايضة إلى التعامل بالنفود أبعد سكان المناطق الجنوبية من المساهمة بشكل حاد ليس في التجارة عبر الصحراء التي لم تعد قائمة .[4]
- كما ظهرت عدة مشاريع للسيطرة و التوغل في الصحراء، منها ربط مدينة الجزائر و تمبوكتو، و ذلك لان سكان الجنوب هم في حاجة ماسة إلى المواد الغدائية التي تأتيهم

---

[1]- داودي شريفي، التوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري (1844م- 1912 م)، مذكرة ماجيسثر تاريخ حديث و معاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015، صفحة 147 .

[2]-Dumas.lesaharaalgerien. Paris.1845.page94 .

[3]-جمال فنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، صفحة 150

[4]-نفس المرجع، نفس الصفحة .

من الشمال، و هذه الضرورة ستجعلهم أكثر إعتدال في تعاملهم مع فرنسا و سيكونون أقل عداء لها، كما سيفتح هدا الربط طريق التجارة عبر الصحراء و هي تجارة مبرحة و ثرية و العناصر المكونة لها خفيفة مثل:ريش النعام و العاج، البقر.[1]

- لقد بدل الدكتور بوديشون مجهوذات متواصلة في إتجاه النفاد نحو الجنوب إنطلاقا من الغرب و من الوسط و الشرق و التي لقيت بعض النجاح في البداية، وتمثل ذلك في ظهور بعض الشخصيات التي أظهرت الاستعداد لمساعدة فرنسا، فتعاون بعض من هاته الشخصيات الذي دهبت في شكل قوافل تجارية في هذه الاتجاهات الثلاثة و التي توغلت في أعماق الجنوب، و توجهت هذه المحاولات يتوقيع معاهدة غدامس التي لم تحقق للفرنسيين الامال التي سعوا ليها بسبب تحفظ السكان و تشككهم في نواياهم الحقيقية .[2]

و لكن تجارة القوافل انهارت بعد إنشاء العديد من الطرق بجانب السكة الحديدية .[3]

كما اعترف برنار بنفسه أن تغلغ فرنسا نحو الجنوب، أدى إلى إنهيار تجارة عبر الصحراء خاصة بعد الضغط عليها انطلاقا من منافدها في الشمال و الجنوبو قد نجم عن ذلك إنهيار تجارة القوافل التي استبدلت بالدكاكين و المغازات المتمركزة في الصحراء شمالا .[4]

---

[1]- جمال قنان، المرجع السابق، الصفحة 141 .

[2]- المرجع نفسه، الصفحة،142.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة،145 .

[4]- المرجع نفسه، الصفحة،150 .

- إبرام إتفاقية بين الفرنسين و زعيم التوارق الشيخ ايخنوخن و التي من ضمنها ضمان مرور القوافل التجارية الفرنسية عبر بلاد أجور و الاتفاق بين طوارق الأزجرو طوارق قبيلة كلوي من أج تهيئة الظروف الملائمة للقوافل الفرنسية لكي يمرو بسلام .[1]
- و من نتائج هده الاتفاقيات توسيع عمليات التبادل التجاري بين الجنوب الجزائري و فرنسا و الصحراء الافريقية و فتح أبواب لإستثمار و استغلال هذه المناطق و الحصول على المنتجات التي تنقص فرنسا .[2]
- أسست الإدارة الفرنسية شؤذركات احتكارية و ذلك لاستنزاف موارد الصحراء كما أسست العديد من الجمعيات لتهيل عملية التغلغل و كذلك البنوك التجارية من بينها:
- شركة النقل: التي تاسست سنة 1890 من قبل ديفييكمارسال بوادي ريغ تحت إسم الشركة الصحراوية للسيارات بعقد يدوم 99 سنة لنقل البضائع مابين الجنوب و شمال افريقيا .[3]
- شركة الفلاحة و الصناعة لصحراء الجنوب: و التي سيطرت على خمسين ألف نخلة أما بالنسبة للصناعة فقد قامت فرنسا بعدة دراسات حول الثورة المائية.[4]
- كما ذكر دوماسا في كتابه عن الصناعة أنها كانت تقتصر آنذاك على صناعة القطرات للإبل، و الفخار الخشن، و القطن و صياغة الذهب و الصباغة و الصوف .[5]
- كما حاولت فرنسل ربط علاقات مع المناطق الداخلية لافريقيا عبر الصحراء و دلك من اجل التسهيل وصول القوافل الفرنسية الى السودان و هدفهم الأساسي كان جلب

---

[1]–إبراهيم مياسي، التوسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881–1902)، المتحف الوطني للمجاهد،1996، صفحة 82 .[1]منشورات

[2]–المرجع نفسه، صفحة83 .

[3]- يمبنة بن صغير حضري، التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطق واد ريغ، جامعة غرداية، المجلد 07، العدد 02، 2014، الصفحة 463 .

[4]– المرجع نفسه، صفحة 464 .

[5] -Eugune Daumas. Le saharaalgerienparis . 1845.page226 .

قوافل الى الأسواق الجزائرية و بذلك طمس التجارة الجزائرية في الصحراء و بروز تجارة الفرنسية في الصحراء الجزائرية .[1]

- حيث كانت الصادرات الوحيدة في فرنسا و الخارج هي التمور الفاخرة "دقلة نور" و معظمها من إقليم تقرت هذا ماشجع التجارة الفرنسية في الصحراء، كما عرفت الجزائر خلال فترة (1881-1962) تكثيف عمليات التعميرللأوربيين على حساب السكان الأصليين و بهدا تناقصت الأراضي المخصصة لزراعة الأهالي كما تراجع انتاجهم و أرتفعت الضرائب و تعددت عليهم .[2]
- بسبب العوامل الطبيعية و البشرية كجفاف و إستعمال الطرق التقليدية نقصت المساحات المخصصة للزراعة القمح الصلب و الشعير من طرف الجزائريين غير أن الأسباب الحقيقية هي حرمان الفلاح الجزائري من كل دعم و حماية و مساعدة بالاموال و التجهيزات و ذلك حتى يكل و يمل و يترك ارضه للأجنبي .[3]

ب- إستغلال الثروات الموجودة في الجنوب:

قبل أن نستعرض الفرنسي للمياه الجوفية، نتعرض للطرق االمتتبعة من طرف السكان في إستخراج المياه الجوفية لاستعمالها للشرب أو الري أو الزراعة في البداية اعتمدو على طريقة الفقاقير التي لعبت دور كبير في فترة المملكة الزناتية، فقد وجدت بالقرب من العرق الغزلي تستعمل مياهها في ري الأراضي المنخفضة و من بين الفقرات التي تواجدت من القرب من منطقة سانت جوزاف بمنطقة بالبشير .

---

[1] - Paul. Soleillet. Exploration. Du saharaceutral. Avenir de la France en afrique. Paris. 1876 page 19 .

[2]- إبراهيم مياسي، التوسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1902)، المتحف الوطني للمجاهد،1996، صفحة 140 .[2]منشورات

[3]- المرجع نفسه، الصفحة 142 -143 .

إضافة اليها وجدت ابار تقليدية التي استخرجت منها المياه عن طريق اليد أو الدواب بالقرقار.[1]

كما استنزفت الثروات الباطينية و ذلك من خلال التنقيب عن المياه عن طريق حفر الابار من طرف المعمرين في منطقة الوادي حيث ارتفع عدد النخيل لدى الشركات الاستعمارية فازدهرت مفروشاتهم في الحدائق و البساتين و في المقابل أتلفت أشجار النخيل و لم تعوض بأشجار أخرى. [2]

- إستغلال لمصادر المياه أدى الى استنزاف المذخرات في الأعماق الباطنية، حيث بلغت المياه المستخرجة من الابار الارتوازية في الدقيقة الوحيدة إلى 317000 لتر .[3]
- كما ان سنوات الجفاف و القحط تسبب ضرر كبير خاصة في المواشي فقد تضرر بسبب مراقبة الإدارة لل..... لترضية المعمرين المقيمين في المراعي الصيفية فالجفاف يدمر القطيع دون أمل في نتاجها، فصار البدو الفقراء لا ينتقلون إلا بحثا عن الشغل بعد فقدان حيواناتهم حيث بلغ قصته سنة 1910 في الصحراء .[4]
- كما ان الاستغلال المفرط في الثروات الباطنية كالفحم الموجود في " قنادسة "، سنة 1906 بلغ انتاجه الى 20.000 طننا و لم يرتفع الى غاية عودة الظروف الملائمة بعد الحرب .[5]

---

[1]– عبد الرحمان نواصر، السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري مابين (1873 – 1962)"منطقة المنيعة نموذجا" مجلة الروافد للبحوث و الدراسات.غرداية.العدد الأول. ديسمبر 2016,صفحة 115 .

[2]–Eugune Daemas.Op–Cit. page221 .

[3]– نوشي أندري وأخرون، الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة: رابح اسطمبولي و اخرون, ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، صفحة 401 .

[4]–المرجع نفسه، صفحة 405 .

[5]– المرجع نفسه، صفحة401 .

- أرغمة سكان بالضريبة و الغرامات الحربية حيث افرضت على الأهالي ضريبة قاسية و جائزة خاصة بالنسبة للطبقات الفقيرة، و هذا ماأدى الى تحطيم الفلاحين كما اجبرو على دفع غرامات مالية تصل الى 12.50 فرنك للمحراث الواحد الدي لا يحرث سوى 15 هكتار .[1]
- كمت وجدت في واحات وادي ريغ في أول من أبار سنة 1856 حوالي 359.300 نخلة و 40.000 شجرة فاكهة كان أهمها على وشك الانقراض مما خرب الواحات .[2]
- أما فيما يخص النظام النقدي الدي اذخل في منتصف القرن 19 م فقد كان دور السلطات الاستعمارية هو الحث على استخدام النقود الحديثة، و دلك من خلال الارغام على دفع أجور العمال بالنقود المعدنية الاوربية و الإصرار على تحصيل الضرائب نقدا كما حرصت الشركات الاوربية على تطوير التجارة النقدية و ذلك من خلال الأرباح التي تحصلت عليها.[3]
- و مايدل على إستعمال الفرنك الفرنسي في الصحراء الجزائرية هو فرض الفرنك الفرنسي على منظمة التوات بعد إحتلالها كأساس للتعامل، بلإضافة الى النقود المغربية المتواجدة في المنطقة .[4]

كما اهتمت الادراة الفرنسية بالثروات الطبيعية فاستغلتها و لم تجرأ على كشف ماتحتويه هذه الأراضي من ثروات منجمية خوفا مما تتطلبه من مصاريف كبرى بسبب صعوبات

---

[1]– فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين (814 ق.م– 1962م) دار العلوم، عنابة، 2003، صفحة 204–205 .

[2]–jues.lesqasis de l'oued Rir en 1856 et 1879.suivies du resuméde travaux de .de le marale .paris. 1879.page 10 .

[3] –أ.ج. هوبكز، التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية، تق: عبد الغني سعودي، تر، أحمد فؤاد بليغ، القاهرة 1998، صفحة 412.

[4]محمد صالح حوتية، توات الازواد، جزء الأول، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007، صفحة 163 .

النقل، و المنجم الوحيد الذي استغل هو منجم الفحم الحجري في جهة قنادسةسنة 1917 م.[1]

- كما تم ابرام معاهدة التجارة مع الطوارق و ذلك بهدف تنظيم قوافل التجارية لي ارسالها الى داخل افريقيا. [2]

ت- سياسة الضرائب الجمركية:

إن السياسة التي اتبعتها فرنسا في أقاليم الجنوب منذ إحداثها يمكن تلخيصها فيمايلي:

إحكام القيد على هذه المناطق و العمل على امانتها ببطء مستخدمة في ذلك سياستها المفضلة و العمل التي اختبرت فعاليتها في البلاد بشكل أكثر و قدوة و المتمثلة في القهر و الطغيان بجميع اشكاله و القمع البوليسي الدي مارسته على كل كائن حي و في كل واحة .[3]

و لقد تسببت سيطرة المستوطنيين الاوربيين على البلاد و خيراتها في إضعاف أصحاب البلاد الشرعيين إنتشارالغاغة المدقعة بينهم و أدى الى انهيار الحرف و الصناعات .[4]

كما تسببت سيطرة فرنسا على الجنوب الجزائري خاصة منطقة واد سوف أثار على البلاد تتمثل في ان المنطقة تعودت على نوع من الاستقلالية في تعاملاتها التجارية فوجدت نفسها في نوع من الإنضباط و التنظيم، مما فرض رقابة أكبر على النشاطات التجارية للمنطقة خاصة في التعامل مع الدول المجاورة فالجمارك كانت باستمرار تضايق حركة التجارية خاصة القوافل التي ترفض الخضوع للاجرءات الجمركية و الضريبية التي أنهكت

---

[1]- جمال قنان،المرجع سابق، صفحة 401 .

[2]-Henry duverier.les touareg du nord.paris.1864.page 09

[3]-جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، صفحة 151 .

[4]- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، صفحة49 .

كاهل التجار و من ثم تاثر على المستهلكين من خلال غلاء الأسعار و سيطرة فرنسا على الطريق التجاري و تحويله من طرابلس الى تونس و الجزائر.[1]

كما قامت فرنسا بفرض ضريبته على النخيل و التي أرهقت كثيرا الفلاحين محدودي الدخل في الصحراء .[2]

و تعتبر زراعة النخيل بمنطقة واد سوف دو قيمة غدائية كبيرة و دلك لإعتمادهم عليها في الحياة الكريمة .[3]

جدول2: تمور عدد النخيل بوادي سوف (1883-1930):

السنة	1860	1883	1909	1915	1930
عدد النخيل	60000	154000	365198	298675	336120

و من خلال الجدول نلاحظ التزايد المستمر في النخيل نتيجة الاهتمام بغراستها و تشجيع المعمر لدلك قصد تصدير التمور باعتبارها موردا زراعيا هاما، خاصة "دقلة نور" التي تصدر الى فرنسا و التي كان لها الأهمية البالغة .[4]

- إزهاق السكان بالضرائب و الغرامات الحربية، و هو مانعكس على الإنتاج الاقتصادي بالسلب ففي منطقة الزاب مثلا تفننت هذه الضرائب بموجب المعاهدة 1853 التي

---

[1]-عثمان زغب، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في منطقة وادي سوف (1918 -1947)، و تأثيرها على العلاقات مع تونس و ليبيا، مذكرة ماجيسثر في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الحاج الأخضر باتنة،قسم التاريخ، 2005.2006، صفحة 24-25 .

[2]- ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، ترجمة: جمال الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، صفحة 105 .

[3]-موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها و تطورها(1900-1939)، مذكرة ماجسيثر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية 2005 -2006، صفحة 48-49 .

[4]- موسى بن موسى ،المرجع نفسه، نفس الصفحة.

فرضت على السكان لترتفع سنة 1919 إلى حوالي 1350 فرنك و ليت الأمر توقف عن هذا الحد بل فرضت عقوبات جماعية و غرامات حربية على السكان قصد اعترافهم بالاحتلال الفرنسي.[1]

جدول 2: الغرامات المالية التي كانت تفرض على سكان منطقة بسكرة (الاعراش و القبائل)

قبائل الاعراش و الدوائر	المبلغ الأساسي للضرائب	الغرامة الحربية بالفرنك	ملاحظات
أولاد قاسم	880	17.600	20 مرة الضريبة صنف خاص
أهل جار الله	465	9.300	نفس الشيء
تكوت	720	14.400	نفس الشيء
أولاد سليمان بن حمزة	1280	12.800	نفس الشيء
أولاد عبد الرحمان	1515	10.605	نفس الشيء
بني ملكان	2400	16.800	نفس الشيء
السرفة	21.60	8.640	04 مرات الضريبة
الزكارة	500	1.000	مرتان مبلغ الضريبة
أولاد عبد الرزاق	740	1480	مرتان مبلغ الضريبة
المرداسة	775	7.750	10 مرات الضريبة
أولاد سعدية	340	2.380	نفس الشيء
المجموع	/	102.755	/

[1]- عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2009، صفحة 142 .

توسعت هذه الضرائب لتشمل الزكاة و المحاصيل و الانفس و الحيوان و العشر، و فرض الضرائب و العقوبات الجماعية و الغرامات الحربية على السكان قصد اعترافهم بالاحتلال الفرنسي و لتجنيب مشاركتهم في المقاومة الصلحةضد الوجود الفرنسي في الجنوب .[1]

- هذه الغرامات و الضرائب إنعكست بالسلب و بشكل كبير جدا على حياة الأهالي الدين اصبحوا عاجزيين فعلا عن ممارسة نشاطهم الفلاحي و التجاري، بل كثير منهم وجد نفسه مدين لأصحاب النفوذ الدين تعاونوا مع الفرنسيين و بسبب ذلك اضطروا الى بيع أملاكهم بأثمان زهيدة جدا، في حين البعض الاخر دهب إلى رهن املاكه.[2]
- كما ان ارتفاع الضرائب الجمركية أكثر من ثلثي سعر البضائع المستوردة بالنسبة للسلع المارة و بذلك انهارت القوافل التجارية الصحراوية، و في مقابل دلك تم تنظيم الضريبة سنة 1896 و تعديلها في سنة 1903 ثم 1907.[3]
- بهذا فإن سكان الأقاليم الجنوبية قد تحملوا أعباء و ثقل كبير كما أنهم عانوا من كوارث الطبيعة و التدهور الاقتصادي و رغم كل هذه الخسائر نلاحظ ان الميزانية سجلت فائض خلال سنوات 1920-1922-1954 فقد سجلت خلال هذه السنوات من 2.144.799 فرنك إلى 1.761.125 فرنك ثم 3.633.144 فرنك .[4]

لم يقتصر نشاط المعمرين على المجالات الزراعية و نهب الأراضي من الأهالي بل امتد نشاطهم إلى كافة النواحي الاقتصادية الأخرى فااستثمروا أموالهم في الصناعة و شركات التعدين و إستغلالات أخرى كالنقل و غير ذلك .[5]

---

[1]- عميراوي أحميدة، المرجع السابق، صفحة 140 .

[2]- المرجع نفسه، صفحة 144-143 .

[3]-اندري نوشي و اخرون، الجزائر بين الماضي و الحاضر، صفحة 398 .

[4]-جمال قنان، المرجع السابق، صفحة 153 .

[5]- جمال قنان ، المرجع السابق، صفحة 143 .

المبحث الثاني: الانعكاسات الاجتماعية

كانت تركيبة المجتمع الجنوبي متماسكة جدا و هذا لم يكن في صالح عملية التوسع الفرنسي، بل ساهمت الى تأخير هذه العملية عشرات السينين و الدليل على ذلك هو عدم تمكن للقوات الفرنسية من فرض سيطرتها الصحراء الجزائرية لذلك اتبعت فرنساأساليب متعددة منها ماذكرناه في الفصول السابقة .[1]

أعطت السياسة الفرنسية للجانب الاجتماعي أهمية كونه يشكل محور مشروعها و إستهدفت لبنات المجتمع الجزائري الذي كان متضامن و مترابط لكنه تأثر بممارسات السياسة الاستعمارية و ذلك من خلال النتائج الاجتماعية التالية: [2]

إثارة للنزاع و الشقاق بين الأسر الكبيرة كذلك النزاع الذي كان قائما بين عائلة بوعكاز ابن قاتة في بسكرة و الاوراس، و ماحدث في جنوب وهران عند عائلة سيدي الشيخ و هذا النزاع ساهم في تمزيق روابط الاسر و التمكين للاستعمار بالجنوب الجزائري .[3]

- إنقسام المجتمع الجزائري في تعامله مع المستعمرين بين مقاوم و محايد .
- النفي و الابعاد الذي استهدف زعماء المقاومة و الهجرة القسرية سواء نحو المناطق الداخلية و خارج الجزائر و منها من انطلقت من (تقرت) بإتجاه (الزيبان) أو (بسكرة القديمة) .[4]
- إن التحولات التي عرفها المجتمع هي المناطق الصحراوية لم تتم في فراغ، فالظروف السياسية و الفكرية و الاجتماعية التي منت بها المنطقة تحت نظام الحكم ساعدت على تبلور من مجموعة جديدة على مستوى البنية الاجتماعية، و آدت الى اختفاء

---

[1]– عميراوي آحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، دار الهدى الجزائر، 2009، ص145.

[2]- عطلاوي عبد الرزاق، الصحراء الشرقية و السياسة والاستعمارية، المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية، الجزائر،2016،ص 171 .

[3]– عميراوي آحميدة، المرجع نفسه، ص146 .

[4]– عطلاوي عبد الرزاق، المرجع نفسه، ص172 .

البعض منها ماتقلق بمسألة التراتب الاجتماعي و التقسيم الطبقي أما مؤسسات الزوايا فلم يبقى منها إلى الشكل و غاب الدور القيادي في التربية و التعليم .[1]

- و كان أيضا المعبد الديني أثرا في تغيير الحياة الاجتماعية بمنطقة الصحراء الذي قام ببناءه "دي فوكو" بمساعدة المجيد بين الجزائر يبين، حيث اقبل له كثير من الناس يتركون و يصلون و يتقوتون و يستشفون، فكان هذا المعبد بزعامة دي فوكو حلقة وصل بين السلطة الفرنسية و الجزائريين بالصحراء، فبعض القبائل بالهقار أعلنت خضوعها للسلامة الفرنسية بسبب سلوك دي فوكو الذي كان يوزع الهدايا على الشيوخ هذه القبيلة لكسب ودهم.[2]
- لكن رغم القوة العسكرية الفرنسية و رغم مناضرة بعض الشيوخ هذه المنطقة و برغم " المبشريين" إلا أن السلطة الفرنسية و التنصرية لم تتمكن من إحتمال كل الصحراء إلا في تاريخ متآخر، و حاولت الكنيسة أن يكون لها دور، بقيادة الاب "دي فوكو" الذي أتقنت لهجة المنطقة، و أسست المعاهدة الجنوب الجزائري لكن سكان المنطقة قتلوه بامر السنوسية .[3]

---

[1]– محمد برشان، إنعكاسات السياسة الاجتماعية الكولونيالية على سكان الصحراء الجزائرية ، مجلة متون، سعيدة، 2020، ص82 .

[2]– عميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار الهدى للصياغة والنشر، الجزائر، 2007، 2b، ص 152–153 .

[3]- عميراوي احميدة ،المرجع نفسه، ص155 .

المبحث الثالث: الانعكاسات البشرية و المادية

1-جدول يمثل بعض الخسائر البشرية – الفرنسية و الجزائرية:[1]

تاريخ وقوعها	الطرف الجزائري	الطرف الفرنسي
أثناء و بعد حصار واحة الزعاطشة 1848-1849	300 شهيد، وأكثر من 1000 قتيل ماتوا أتت الأنقاض	10 ضباط قتلى، 60 ضابط جريح، و 156 جندي قتيل و 740 جريحا
سبتمبر 1849	أكثر من 200 شهيد على راسهم القائد عبد الحفيظ الحنفي .	لم تتمكن من تحديد خسائره .
3جانفي 1850	عشرات القتلى و الجرحى	08 قتلى و 30 جريحا
أكتوبر 1853	إستشهاد الشريف عمار عمر و بمعية 500 شهيدا	عشرات الجرحى
28 نوفمبر 1854	إستشهاد أكثر من 500 جزائري	عدد هائل من القتلى و الجرحى يتراوح بين 50-100 فرنسيا .
28 ديسمبر 1899	600 شهيد جزائري	مابين 100-200 قتيل فرنسي
جانفي 1900	.....	عشرات القتلى و الاسرى
19مارس1900	300 شهيد جزائري	100 قتيل فرنسي
1900	عدد قليل من الخسائر	مقتل المكازم"فكاتوس" و "دينامو‌س" و حوالي 78 جنديا
30أوث 1859	.....	350 قتيل و عشرات الجرحى

[1]- عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع سابق، ص131-132 .

19 ماي 1881	عدد محدود من الجرحى	قتل ضابط و أربعة حراسه الشخصيين .
19-25 مارس 1881	إستشهاد أكثر من 400 شهيد	37 قتيل و 16 جريح و 47 مفقود مع إختفاء آخر القادة
07 ماي 1902	أكثر من 70 شهيد	عدة جرحى منهم الضابط "لابيرين"
29 مارس 1903	.....	8 قتلى منهم العريف" فوريه لوفي" و ستة جرحى .
2-مارس 1908	02 قتلى و 15 جريح	عشرات القتلى منهم الملازم "رونيه"

2-الملاحظة و التعليق على الجدول:

- خسائر كثيرة و إستشهاد مرابطين و قادة فرنسيين دو رتبة حيث قدر عدد الجزائريين ب 3272 شهيد و الجرجى أيضا .

و خسائر بشرية التي ترتبت عن ثورة الاوراس و هو عدد هائل مقارنة بالفرنسيين الذين قتلوا في ساحات للمعارك و المقدر عددهم ب 1626 قتيل و 252 جريح دون النظر الى المفقودين في الصحراء الجزائرية .

- و يعود ذلك الى غياب التكافؤ التام بين القوات الفرنسية و القوات الجزائرية هو ذلك التفوق الفرنسي الكبير على عناصر المقاومة الجزائرية، رغم تشتت القوات الفرنسية إلا ذلك لم يمنعها من الانتصار على الجزائريين .[1]
- و أما ميدان تربية الحيوان فهو قد تضرر كثيرا فاصبحت "العشابة" مراقبة تحميها الإدارة الفرنسية لترضية المعمرين المقيمين في المراعي الصيفية، فالجفاف يدمر

[1]- عميراوي آحميدة، المرجع السابق، ص135 .

القطيع دون أمل في نتاجها، و صار البدو الفقراء لا ينتقلون الى البحث عن الشغل بعد فقدانهم حيوانهم و بلغ النقص في الحيوان قمت.... سنة 1910 على المناطق الصحروايةِ .[1]

- و التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب، كان السبب الحقيقي في إنتشار الثالوث (الفقر، المرض، الجهل) الذي اكتوى به الشعب الجزائري كثيرا، و الذي كافح بكل مايملك من قوة، طيلة فترة الاحتمال الطويلة لطرد الغاصب من البلاد، و طي صفحته المظلمة، لفتح صفحة مشرقة . [2]

[1]– آندري نوشي و آخرين، الجزائر بين الماضي و الحاضر، ديوان للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص405 .

[2]– إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، (1881–1912)، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، ص164 .

المبحث الرابع: الانعكاسات الإدارية:

إنطلاقا من الترسانة القانونية التي خصصتها السلطات الكولونيالية في إدارة الجنوب أصبحت مناطق الجنوب الجزائري من الناحية القانونية مستعمرة خاصة، و بهذا فإن إدارة الجنوب مثلت شكلا ثالثا خاصا بها .[1]

أ- التنظيم العسكري في الجنوب الجزائري:

و بعد سقوط الامبراطوية الثانية عام 1870، تم الإعلان بعدها عن الجمهورية الرابعة في سبتمبر 1871 .

و قد صادق البرلمان الفرنسي يوم 9 مارس 1870 و شرعت في تطبيق المشروع من طرف لجنة تحقيق راندون و بيهيك و من أهم ما جاء فيه هذا المشروع هو مايلي:

- تقسيم الجزائر الى اقليمين: شمال مدني، و جنوبي عسكري .
- إنشاء مجالس بلدية و عمالية وفق مايجري في فرنسا .
- يحكم الاقلمين حاكم عام مدني واسع السلطات يخضع لوزير الداخلية. [2]

لقد طرحت مسألة تنظيم المناطق الجنوبية تنظيما خاصا لأول مرة في البرلمان الفرنسي، عند مناقشة الاعتمادات المالية المتخصصة لتغطية نفقات العمليات العسكرية الجارية في الجنوب الجزائري، لقد أدهشته ضخامة النفقات و المبالغ التي صرفت في العمليات العسكرية و أراد وضع حد الاسراف و التبذير عن طريق ترتيب المصاريف العسكرية في

[1]- محمد برشان، التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري(1902-1960)، المجلة الخلدونية، جامعة طاهري محمد بشار، صفحة 187 .

[2] -إبراهيم مياسي، التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري،ص 27.

بنود يسهل ضبطها و مراقبتها و طلب من الحكومة أن تقوم بمشروع قانون خاص للإدارة المناطق الجنوبية و تم المصادقة عليه في دورة ربيع 1902 .[1]

بعد تعديلات طفيفة عرض في مجلس الشيوخ لقي معارض في بعض أجزاءه و طلب عرضه قبل البث فيه على الهيئات المنتجة في إدارة الاحتلال بالجزائر و المجالس العامة للعملات و المندوبات المالية .[2]

- كان رد فعل المستوطنيين على السياسة الفرنسية في الجنوب، الخوف من إعادة تنظيم جديد للمناطق الجنوبية، و خشية المستوطنون من أي تحاصر الحركة للاستيطان الأوربي و غلق أبواب الجنوب أمامهم.
- التخوف من تحمل الخزينة المستعمرة نفقات القوات العسكرية المتمركزة في أقاليم الجنوب. [3]
- و في جلسة الخريف من نفس سنة 1902 صادق مجلس الشيوخ على مشروع القانون الذي أقره البرلمان في مارس بدول تعديل و أصبح ساري المفعول منذ 24 ديسمبر 1902 تحت إسم "تنظيم أقاليم الجنوب الجزائري" [4]

ث- التنظيم الإداري في الجنوب الجزائري:

لقد تميزت الإدارة في مناطق الجنوب بجملة من الخصائص و تتمثل في أنواع البلديات الموجودة في الشمال غير موجودة في الجنوب ماعدا البلديات المختلطة و هي القاعدة الهامة في التنظيم الإداري اما البلديات فإنها تسمى دوائر و الملحقات و هناك البلديات الاهلية (communes Undigeus)و هي عادة خاصة بالقبائل في

---

[1]- جمال قنان، المرجع السابق، ص147 .

[2]- جمال قنان، المرجع نفسه، صفحة 147-148 .

[3]- المرجع نفسه، ص 148-149 .

[4]- المرجع نفسه، ص 149 .

الجنوب، مارست هذه الإدارة في حق سكان الصحراء ابشع الصور كالبطش و التنكيل [1].

- و خلال فترة (1947-1957) أخدت السلطات الفرنسية تتبع سياسة إدارية تقتضي بقانون 1947 الدي نص على إعادة تنظيم أراضي الجنوب و أن الأقسام الادراية التي بيانها هي الأراضي الجنوب السابقة تصبح مرتبطة بولايات الجزائر على الوجه الكامل .[2]
- تم إحكام السيطرة الكلية الاقتصادية خاصة الإدارية على مناطق الجنوب و كذا تقديم تسهيلات إدارية للمواطنين الفرنسيين الدين لم يتجاوز عددهم في أقاليم الجنوب سنة 1902 م على 5333 أوروبي .[3]

و لهذا فقد كان التنظيم الإداري المحض المستوحى من دواع مالية معروفة لم يسفر عن شيء سوى تعزيز المركزية لصالح السلطة الفرنسية .[4]

- التنظيم القضائي في الجنوب:

القمع الفضائي و يتمثل في مجموعة من الاحكام الإستشائية التي يردخ تحتها سكان الأقاليم الجنوبية والتي يشرف على تنفيذها هيئات قضائية إستثنائية و المتمثلة في المجالس الحربية و لجان الطاعة.[5]

---

[1]- صالح بن محمد بوسليم، جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1952-1956)،جامعة غرداية، العدد 35،ص 85 .

[2]- بوسليم صالح، جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية بالصحراء الجزائرية (1856-1962)، مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية، جامعة غرداية. مجلد2، العدد 25 ،2015، ص548 .

[3]-المرجع نفسه، صفحة 546 -548

[4]- محمد بحاوي، الثورة الجزائرية و القانون، ترجمة: الأستاذ علي الخشن، وزراة الثقافة و الارشاد القومي، 1961، صفحة 356 .

[5] -جمال قنان، المرجع السابق، صفحة 152 .

و من المفيد الإشارة بهذا الصدد أن القضاة المسلمين لا يتقاضون مرتبات من الخزينة و دائما يحصلون فقط على نسبة من حقوق الطابع الضريبي المفروضة على كل قضايا المعروفة على المحاكم و يمكن تصور المصاريف الباهضة التي عانا منها المتقاضي من جراء هذه الممارسة بقطع النظر عن الاضرار الناجمة عنها و التي افقدت العدالة قيمتها من كل اعتبار .[1]

و يفهم من القضاء الإسلامي انه ليس بالقضاء الذي يحتكم اليه المسلمون وفق اصوله و انما القضاء الدي يرغب المستعمر تطبيقه وفق مصالحه .[2]

و الأسس الأولى لتنظيم القضائي الفرنسي في شكل مراسيم ملكية بتاريخ 28 فيفري 1841 و 26 سبتمبر 1842 م، و تعتبر بداية الاختلاط بالقضاء الفرنسي، و منذ سنة 1853م بدأت الأقاليم المدنية تزدتد اتساعا ليجمع عدد كبير من الأهالي للسلطة القضائية المدنية و هكذا وجد الفرد الجزائري مقيدا بنظام قضائي يطبق من أجل تحقيق السيادة الاستعمارية و قد استخدمت كل الوسائل من أجل جعل القضاء الإسلامي و إخضاع الجزائريين للقانون النابوليوني .[3]

---

[1]- جمال قنان ،المرجع السابق، نفس الصفحة .

[2]– فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، 2003،2002،ص203 .

[3]– المرجع نفسه، ص202 .

خـــــــاتمة

خاتـــــــــمة

في نهاية هده الدراسة التي تحمل عنوان " من أساليب التوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري " البعثات العلمية و الاستكشافية " أنموذجا" توصلنا الى مجموعة من النتائج و الاستنتاجات يمكن ان نستخلصها فيمايالي:

- من خلال الرحلات و البعثات العلمية و الاستكشافية الفرنسية تمكنت من جمع كم هائل من المعلومات حول الجوانب الإنسانية و العلمية عن الصحراء الجزائرية إلا أن تلك المعلومات لم تكن الغاية منها ذاتية إنما خدمت المستعمر الفرنسي تحصلت عليها لتنفيذ مشاريعه داخل الجنوب الجزائري .

- إضافة الى هذا هناك عدة مشاريع أقيمت لها دراسات و هيئة لها بعثات و قوافل، الا انه لم تنجح وتحقق مرادها مثل مشروع السكة الحديدية التي أنجز منه جزء فقط وأيضا محاولة التفرد و السيطرة على التجارة الصحراوية باءت بالفشل بالرغم من إبرام إتفاقيات مع زعماء الطوارق من أجل تأمين طرق هذه القوافل .

- و من السلبيات لتلك الاستكشافات هو تعرض الصحراء الجزائرية للعديد من الحملات التنصرية و إنشاء مراكز لجمعية الآباء البيض في العديد من مناطق الجنوب خلال القرن 19 و ذلك من اجل إضعاف سكان الصحراء مستغلين ذلك ظروفهم المادية السيئة لممارسة أساليبهم و سياستهم التعسفية .

و من هنا يمكن القول أن هذه الاستكشافات الاوربية لم تكن ذات نوايا حسنة للجنوب الجزائري، إنما فرنسا لم تكن قادرة على إحتلال الجنوب لولا هذه الاستكشافات التي شهدت حجم كبير.

- محاولة مد النشاط التنصيري في الصحراء الجزائرية من أجل الإستيلاء على القبائل المسلمة المتواجدة في تلك النواحي و العمل على جلب أكبر عدد منهم، و على قمتها المبشر "شارل دوفكو" الذي لعب شخصية يهودية و كان أخطر ميشر في الصحراء،

خـــــــاتمة

ومهما كان فإن رد فعل سكان كان خطير و عنيف لانها عبرت عن انتمائها الروحي وتمسكها بأصالة هذا الانتماء النابع من فقد الإسلام .

- كما نبين من خلال هده الدراسة أن السياسة الفرنسية التي اتبعتها فرنسا في مختلف المجالات خاصة الاقتصادية، محت كل وسائل التي يلجأ اليها الأهالي للرزق .

- كما اعتمدت الادراة الفرنسية للتوسع في الجنوب على نظام عسكري و الدي يعتمد على الحكم العسكري من خلاله يمكن الاستيلاء و التوسع بكل راحة داخل الجنوب الجزائري.

و أخيرا نأمل أن يكون هذا العمل البسيط قد أنجز بعض غايات هذه الدراسة و أن يكون قد أبرز و لو قليلا تاريخ الجنوب الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي، و لا نعتقد أننا قد المينا بكل جوانب الموضوع بل لا تزال الساحة مفتوحة المجال أمام الباحثين للمزيد من الأبحاث و الدراسات .

الملحق 01[1]

[1]–احميدة عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص153 .

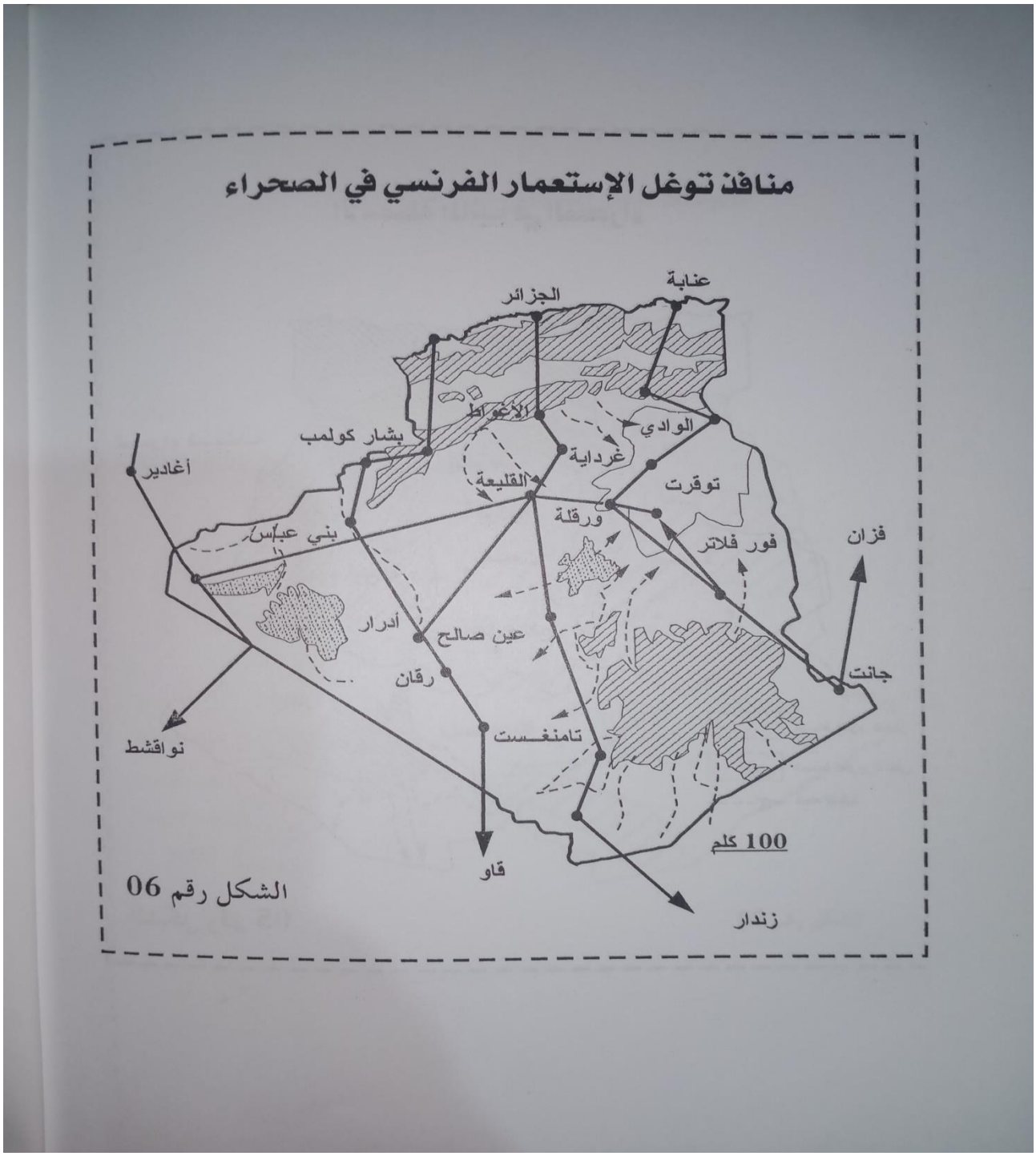

الملحق02 [2]

[2]–عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص 156 .

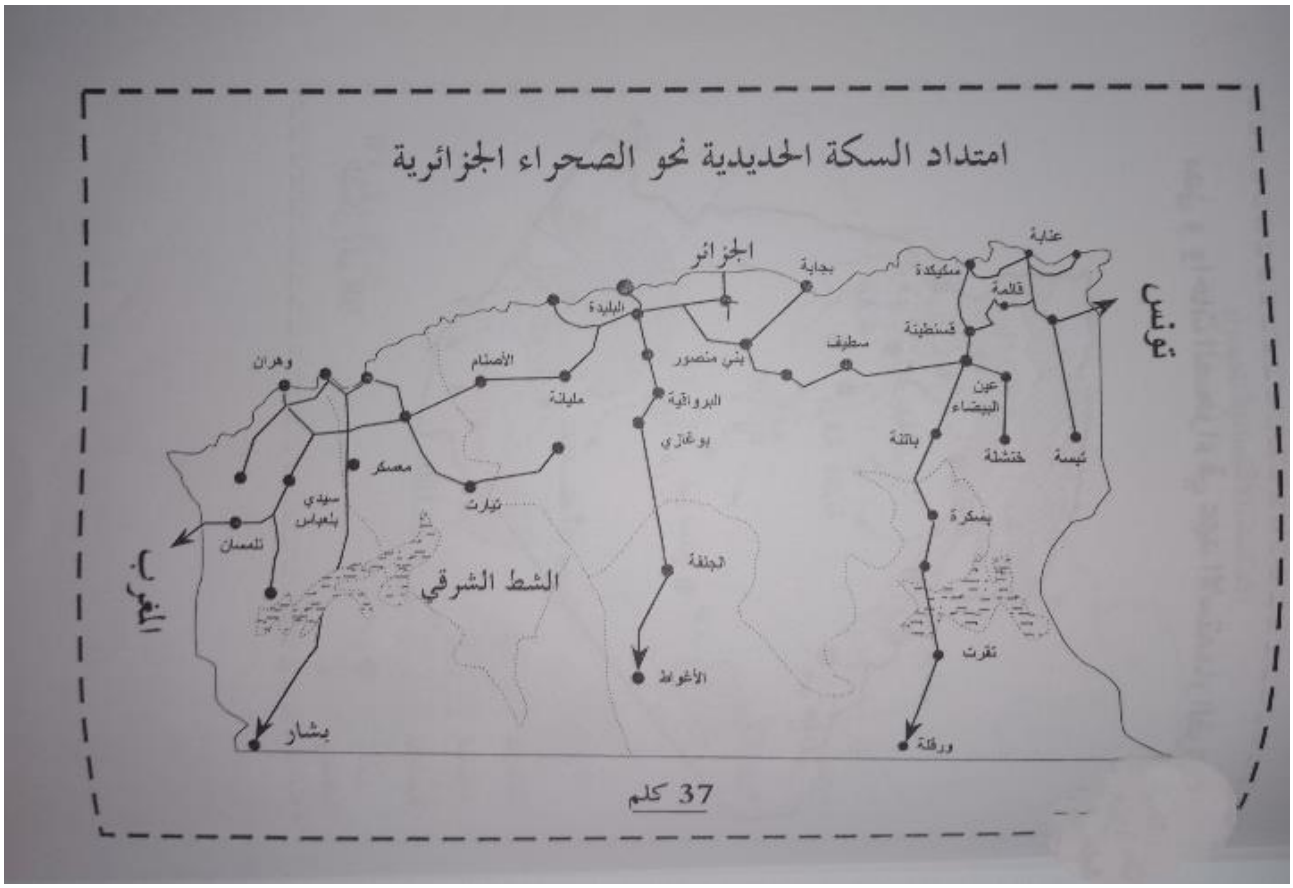

الملحق 03 [3]

[3]–عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص 157.

الخريطة توضح أهم الرحلات الاستكشافية التي قام بها دوفيريه في الجنوب الجزائري[1]

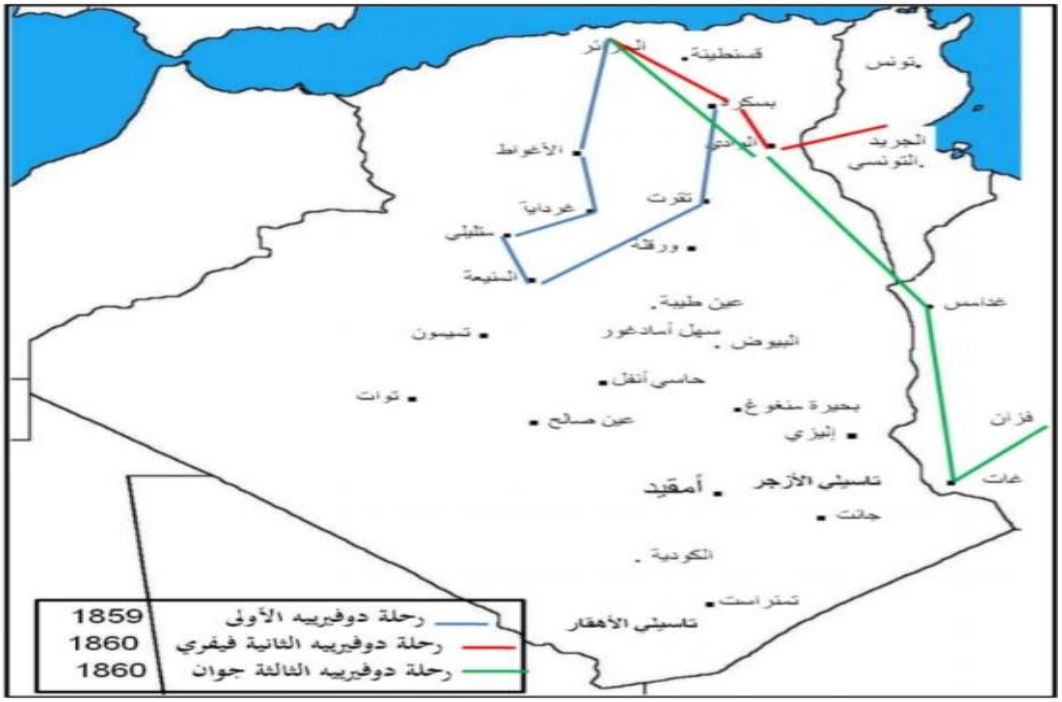

الملحق 04[4]

[4]– عبد القادر مرجاني: السياسة الفرنسية و دور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن19، مرجع سابق، ص328.

خريطة : توضح أهم الرحلات الاستكشافية التي قام بول صوليبه في الجنوب الجزائري[1]

الملحق 05 [5]

[5]–عبد القادر مرجاني، مرجع سابق،ص330 .

الخريطة): توضح أهم الرحلات الاستكشافية التي قام بها فلاترز في الجنوب الجزائري[1]

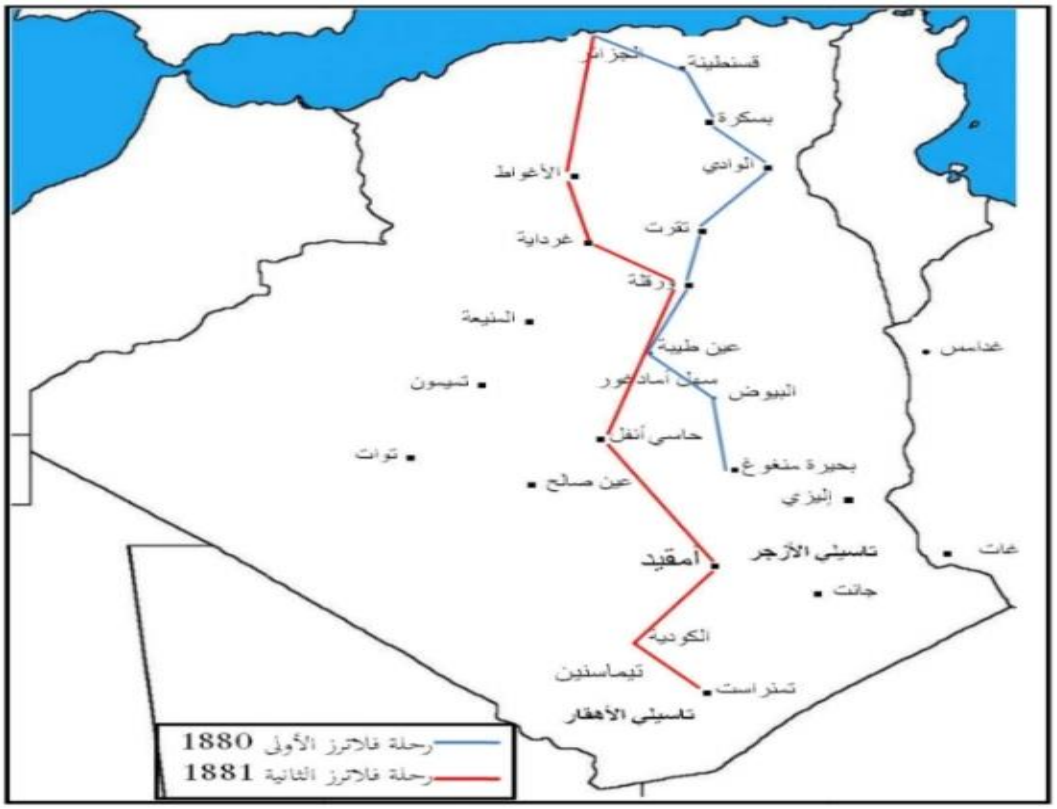

الملحق [6]06

[6]–عبد القادر مرجاني، المرجع السابق، ص 330.

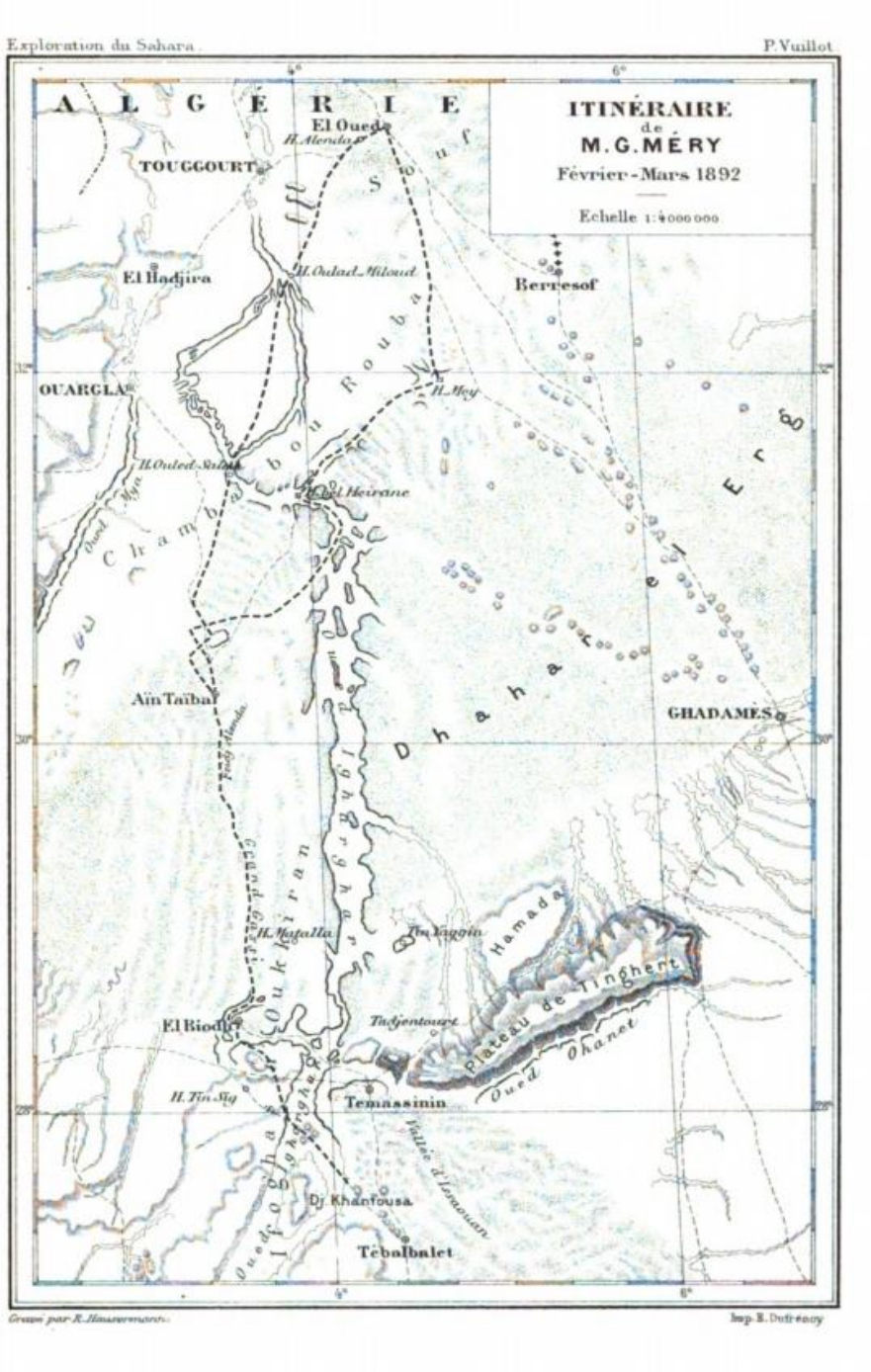

الملحق 07 [7]

[7] – paul vuillot.op.cit.(snp)

للمستكشف هنري دوفيريي[1]

للمستكشف بول فلاترز[2]

12

[1] - hpps/ ak .wikipedia. org/wik

[2] - henri brosslard. Les mission flotters au payes des yourg azdjer et hoggared .paris 1889. S.p .

الملاحق:

PAUL SOLEILLET.
(Juin 1874)
d'après une photographie de James Geisser d'Alger.

صورة للمستكشف الفرنسي بول صوليه، أخذت سنة 1874 في الجزائر من طرف المصور الفوتوغرافي جايمس قيسر، ينظر: Paul Soleillet, **L'Afrique Occidental e « avenir de La France En Afrique »**,Avignon, Imprimerie De E Seguin Ainé, 1877, p1.

[1] الملحق رقم03

[1]– Paul soleillet. L'afrique occidentele « algerie. Mzab. Tidikellt. ».avignon impremie des seguin Ainée. 1871. Sans page

للمنصر شارل دوفوكو[1] Charle De vocot :

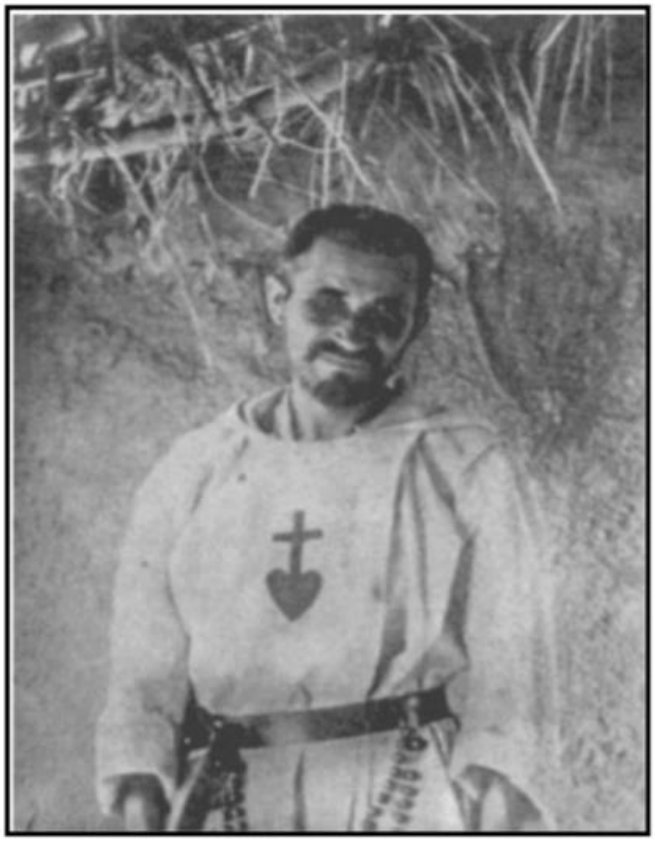

الملحق رقم 04.[1]

[1]- شارل دي فوكو: رسول الاخوة الشامل، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1969 . صورة من الغلاف .

قائمة المراجع و المصادر.

أ- المصادر العربية و المعربة:

- حمدان خوجة، المرأة، ط2، الجزائر،1982.
- شارل ديغول، مذكرات الامل للتجديد،1958-1962، ترجمة سموحي فوف العادة، م. ج عويدات، ط2، باريس، 1986 .
- ليون روش، إثنان و ثلاثون سنة في رحاب الإسلام، 2011 .

ب-المراجع بالغة العربية و المعربة:

- الزعيري محمد أحسن، مؤتمر الصومام و تطور الثورة التحريرية الوطنية للجزائر،(1956-1962) دار هومة، للطباعة و النشر،2009.
- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى و شواطئها، 1983 .
- الغربي العالي، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء و ردود الغل الدولية .
- الغربي العالي، العدوان الفرنسي على الجزائر(الخلفيات و الابعاد).
- الجنيدي خليفة و أخرون، حوار حول الثورة، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1986 .
- أبو حجام، محمد سليمان، صفحات من الكفاح الخاص بالشيخ بيوض و الاستعمار الفرنسي في الجزائر، غرداية، 2012.
- أبو عمام، بن حمودة، الثورة الجزائرية، ثورة أول نوفمبر(1954)، معالمها الأساسية، دار النعمان، 2012 .
- بومعزة، عبد القادر، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1،ط1، 2016 .
- بوشارب عبد السمام، الهقار أمجاد و أنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار، الجزائر، 1959 .
- بجاوي محمد، الثورة الجزائرية و القانون، تر: الأستاذ علي الخش، 1961 .
- بوعزيز يحي، سياسة النشاط الاستعماري و الحركة الوطنية،(1830-1954).

- بوعزيز يحي، الاستعمار الأوربي الحديث في افريقيا و اسيا و جزر المحيطات، 2009.
- بليل محمد، مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري الجنوب الشرقي في الجزائر .
- بقطيش خديجة، الحركة التنصيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871) .
- بوعزيز يحي، ثورات القرن العشرين ، دار البعث للطباعة والنشر، ط1 ، قسنطينة ،الجزائر ،1980.
- حوتية محمد صالح، توات الازواد، جزء أول، دار الكتاب الغربي،2007.
- رموم محفوظ، الاحتلال الفرنسي لاقصى الجنوب الغربي الجزائري و المجابهة العسكرية و الثقافية، جامعة ادرار.
- ساقليف، ي، الموجز في تاريخ افريقيا، ت ع:آمين الشريف، دار الطباعة الحديثة، مصر .
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج6، (1830-1954)،ط1، دار الغرب الإسلامي، 1898،(د.س.ن).
- سعد الله، آبو القاسم، الحركة الوطنية(1830-1900) ،الجزء1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 1992.
- شارل دي فوكو-رسول، الاخوة الشامل، منشورات المطبعة الكولوبيالية، بيروت، لبنان، 1968.
- عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، دار هدى، 2009، ج 1،b 1، 1992.
- عميراوي أحميدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، 2005 .
- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين الى خروج الفرنسيين،(814 قبل الميلاد-1962م - 2003 .
- فيرون ريمون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الديناصوري، مؤسسة سجل عرق، 1963 .
- قنان جمال، نصوص السياسة الجزائرية في القرن التاسع العشر،(1830-1914)1993 .
- قنان جمال، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، 1994.

- قنطاري محمد، فصل الصحراء عن السياسة الاستعمارية الفرنسية، دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول، حول فصل الصحراء عن الجزائر، 2009 .
- مياسي إبراهيم، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912)1996 .
- مياسي إبراهيم، الصحرا الجزائرية في ظلال واد سوف .
- مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954) ،2014، ديوان المطبوعات الجامعية ،2014 .
- مياسي ابراهيمي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1834)دار هومة، 2009 .
- هوبكز، آج، التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية تقديم عبد الغاني السعودي، تر: احمد فؤاد بلبع، 1998 .
- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب(1832-1847)، 1990.

ت- المذكرات و الاطروحات الجامعية:

- حساني عثمان، البيئة الاجتماعية و الاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين 18-19، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر،2006-2007.
- شريفي داودي، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري(1844م-1912م) مذكرة ماجيستار تاريخ حديث و معاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015 .
- رقب عثمان، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في منطقة وادي سوف و تاثيرها على العلاقات مع تونس و ليبيا، مذكرة ماجيستار في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم التاريخ ،2005-2006 .
- قوبع عبد القادر، الحركة الاصلاحية في منطقتي الزيبانو ميزاب بين سنتي(1920-1954) مذكرة نيل شهادة ماجيستر في التاريخ المعاصر.

- مرجاني عبد القادر، السياسة الفرنسية و دور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري ... القرن 19، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس،2019 .
- موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بواد سوف نشاتها و تطورها (1900-1930) مذكرة ماجيستار جامعة منتوري، قسنطينة، 2005،2006 .

ث- المجلات و الجرائد:

- برشان محمد، انعكاسات السياسة الاجتماعية الكولونيالية على سكان الصحراء الجزائرية، مجلة متون، سعيدة، 2020.
- برشان محمد، التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري (1902-1960) المجلة الخلدونية، جامعة ظاهري محمد بشار،2017 .
- بوسليم صالح، جوانب السياسة الاستعمارية الفرنسية بالصحراء الجزائرية (1856-1962) مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، مجلد2، العدد25، 2015
- بوشارب عبد السلام، الهقار أمجاد وأنجاد ، المؤسسة الوطنية الاتصال والنشر ، الجزائر،1995.
- بلاجة عبد القادر، المناورات الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية و إستراتيجية الثورة لإفشالها، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية، العدد الأول، 2015 .
- بليل محمد، مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي الجزائري (1850-1918) مجلة روافد البحوث و الدراسات، العدد الثاني.
- جيدل عبد العزيز، مجلة الجوسسة الفرنسية عن الجزائر في العصر الحديث و المعاصر، جامعة الامام الاوزعي، بيروت 2010 .

- درعي فاطمة، الاغواط من خلال الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان، مجلة العلوم الإنسانية و الحضارة، جامعة مصطفى إسطنبول، معسكر، الجزائر، 2023 .
- رفاف شهرزاد، مجلة حول الاستكشافات الاوربية للصحراء الجزائرية، جامعة بشار، 2019
- كديدة محمد مبارك، مناطق أقصى الجنوب الجزائري في استيراتيجية اعلان الثورة المكتوب، جريدة المجاهد، 1958، المركز الجامعي تامنغاست،العدد 1 .
- كركب عبد الحق، الاستعمار الفرنسي للبترول الجزائر و رد فعل الثورة الجزائرية، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا، العدد1، 2020 .
- عطلاوي عبد الرزاق، الصحراء الشرقية و السياسية الاستعمارية، المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية، الجزائر، 2016 .
- مرجاني عبد القادر، الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الاوربية خلال القرن 19 م"بولصولية نموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الاغواط، العدد22 .
- مريوش أحمد، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري، و ردود فعل سكان الهقار1916، مجلة المصادر، الجزائر، العدد11، 2005 .
- محمدن بن محمد، الرحلات الاستشكافية الفرنسية في الصحراء الكبرى(دوافع و عراقيل) مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، 2003 .
- هاشمي آمال، التوسع الفرنسي نحو منطقة الهقار، مجلة العصور، جامعة وهران، العدد 18-19، 2012 .
- هواري مختار، المشاريع الفرنسية لفصل الصحراء و دور التلاحم الشعبي لسكان الصحراء في افشالها، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثاني، 2018 .
- نواضر عبد الرحمان، السياسة الاسعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري مابين (1873-1962) "منطقة المنيعة نموذجا"، مجلة الروافد للبحوث و الدراسات، غرداية، العدد1، ديسمبر2016 .

ج- قائمة المصادر الفرنسية:

-Augustin Bernard et N.lacroix. la pénétration saharienne(1830-1906).

- felixe jacquot. Expédition du générale cavaignac dans le sahahraalgerien .avril et mai 1847.1849 .

- henri broplard. Les missions flatters(au pays destouareg azdjer et hoggar) paris. 1889. (s-p) .

ح-قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

- Adolphe duponhel. Le chemain de fertraus sahairien. 1878 .
- Bounard louis. Le cardinal lavigeri(1828-1919)1896 .
- Eugune dammas. Le sahara algerien. Etudes georaghique statistique et histiorique sur la region au sud des établissements francais. Langlouislecheriq. 1845 .
- Eugumé Daumas. Meures et coutumes de l' algerie tell kabliesahara. 1853 .
- Eugumé fromentu. Un été dans le sahara. 1879.
- Faucon. Naraisse. Livre D'or de l'algerie. 1889 .
- Fernand foureau. Rapport sur ma mission au sahara et chez les twareg Azdjer october 1893. Mars 1894.1894 .
- Fernand foureau. Mon neuviéne voyage au sahara et au pays twareg mars-juin 1897.1898 .
- Jues. Les Oasis de louedrir en 1856 et 1879. 1879 .
- Henri vuillot. L'exploration du sahara étude historique el géographique.1895 .
- Paul soleillet. Exploration du saharaceutral. 1876 .
- Paul soleillet. L'afrique occidentale « algerie. Mzab. Tidikellt. ».
- Paul garffarel. L'algerie « histoire. Conquéte et colonisation « 1883.

- Paul vuillot. L’exploration du sahara « étude historique et geographique.1895 .
- Vallat Gustave. A La Conquéte du continent noir. 1892 .

خ- مواقع الكترونية:

- http sihar . wikipediwa .O.g/ wik .

فهرس المحتويات

السورة القرآنية.

الاهداء.

الشكر و العرفان .

قائمة المختصرات.

المـقدمـــة .....أ

الفصل الاول: دوافع التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري 01

المبحث الأول: دوافع عسكرية 03

المبحث الثاني: دوافع اقتصادية.....05

المبحث الثالث: دوافع خاصة بالرحالين و المستكشفين.....11

المبحث الرابع: تنامي روح التنافس بين الدول الاستعمارية.....13

الفصل الثاني: السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري.....17

المبحث الأول: مساعي فرنسا في فصل الصحراء 19

المبحث الثاني: ارساليات تنصرية في مدن الجنوب.....27

المبحث الثالث: نماذج من مشاريع التوسع الفرنسي في الصحراء 40

المبحث الرابع: التعمير الاستيطاني في الصحراء الجزائرية.....49

الفصل الثالث: البعثات العلمية و الاستكشافية في الجنوب الجزائري.....53

المبحث الأول: البعثات الاستشكافية من 1830 -1881.....56

المبحث الثاني: البعثات الاستكشافية من 1881- 1899.....75

المبحث الثالث: رحلة ليون روشي الى الحجاز 1841.....82

المبحث الرابع: فتوى اهل قورارة سنة 1893.....85

الفصل الرابع: انعكاسات السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري.....88

المبحث الأول: الانعكاسات الاقتصادية.....90

المبحث الثاني: الانعكاسات الاجتماعية.....100

المبحث الثالث: الانعكاسات البشرية و المادية.....102

المبحث الرابع: الانعكاسات الادراية.....105

خـــاتمـــة.....109

الملاحق

قائمة المصادر و المراجع

فهرس الأعلام و الشخصيات

فهرس المحتويات

الخلاصة

فهرس الأعلام و الشخصيات :

(أ)

الأمير عبد القادر: ص 84،83،82،02.

إبتان أوجين: ص 06.

أحمد بومنجل: ص 25.

أدولف دوبونشال: ص 68،43.

الشيخ إيخنوخن: ص 71،09.

الماريشال سولت: ص 08.

الأب مارت: ص 30.

الأب دوفكو: ص 101،39،38،37،36،35،34.

أق مستان موسى: ص 38.

أفريج: ص 41.

الحاج أخمكون: ص 25،22.

الحنفي عبد الحفيظ: ص 102.

الشريف عمار: ص 102.

(ب)

بوضربةإسماعيل: ص 41،09.

بوبغلة: ص 02

بومعزة: ص 02

بولیناك: ص 41،09.

بيجو: ص 85،50.

بوران و كولونيو: ص 64.

بول فلاترز: ص 38،42،75،74،73،72،71،70.

بورليي: ص 75.

بروسلار: ص 71.

برانجة: ص 71.

باجودا مهدي: ص 80.

بوعمامة: ص 85.

برنار: ص 91،90.

بولا: ص 42.

بوغابة محمد: ص 25.

بومبيدو جورج: ص 25.

(ج)

جوبار و دوبار ودورنو: ص 42،70.

جرمان: ص 79.

جون كامبون: ص 45،30.

(خ)

خبزي محمد: ص 24.

(د)

دي فاتون: ص09.

ديغول: ص 21.

دوفرييه: ص 63،62،61،60،14.

دويري ميشال: ص 22.

دينكوكس: ص 38.

دي فرانيسيه: ص 44.

دولس: ص 75.

دي لابورت: ص 82.

ديفييك مارسال: ص 92.

(ر)

روش ليون: ص 84،83،82،71،48.

ريتشارد و كيرمابون: ص 69.

ريشارو و موراث و بوبلار: ص 32.

رولان جورج: ص 75،45،08.

(س)

سي مولاي شريف: ص 67.

(ش)

شوزاي: ص 69.

شيخ بيوض: ص 21.

شيخ علامة: ص 86.

شروف محمد: ص 25.

شارل: ص 28.

(ص)

صولييه بول: ص 68،67،66،65،64،08.

صون ريتشارد: ص 41.

(ع)

عقيد كليتر فونير: ص 28.

عائشة بنت محمد: 28.

عابد محمد: ص 87.

(غ)

غيارد: ص 71.

(ف)

فاتون: ص 41.

فوك فرولان: ص 45.

فيرو: ص 72.

فرناند فورو: ص 76،77،78.

فلامون: ص 08، 79.

فالي مارشال: ص 83.

(ق)

قاليفيه: ص 42.

(ك)

كاردينال لافيجيري: ص 27،29،30،31،32،33،34.

كلان كلاش: ص 21.

(ل)

لافريار: ص 80.

ليفي فيشار: ص 21.

لوسان: ص 25.

لوشا توليبه: ص 71.

لويس أوجين كافيينياك: ص 58،59،60.

لوي جوكس: ص 25.

لابي: ص 43.

لابرين هنري: ص 37.

(م)

مفتي شافيعي:ص 86.

مفتي مالكيه: ص 86.

موسون: ص 71.

ميري غاسطون: ص 75،76.

ميرسير: ص 41.

ميرشار: ص 09.

ميلشوارد دوماس جوزيف: ص 56،57

(ه)

هوفمان: ص 41.

(ي)

يولميي و مورييه و بوشاند: ص 32.

فهرس الأماكن :

(أ)

الأزواد: ص 05.

الجزائر: ص 03، 06، 37، 107، 108.

السنغال: ص 15.

السودان: ص 41، 68، 73، 79.

الشعبانية: ص 22.

الصحراء: ص 05، 06، 13، 54، 60، 61، 63، 66، 67، 93.

الجنوب: ص 54، 56، 72، 90، 96، 110.

الأوراس: ص100، 109.

القبائل: ص 106، 109.

(ب)

بسكرة: ص 34، 42، 56، 62، 71، 75، 100.

بوسعادة: ص 90.

باريس: ص 60.

(ت)

تقرت: ص 21، 24، 25، 70،

تمنراست: ص 38.

توات: ص 03، 05، 41، 44، 86.

تيديكلت: ص 03، 41.

تبسة: ص 56.

(س)

سكيكدة: ص 62.

ستراسبورغ: ص 34.

(ع)

عين صالح: ص 23، 37، 57، 66، 67، 76، 79، 81.

(غ)

غدامس: ص 63، 69، 77، 34.

(ف)

فرنسا: ص 03، 40.

(ق)

قسنطينة: ص 62، 70.

قورارة: ص 41، 48، 85.

(م)

ميزاب: ص 62، 66.

(و)

ورقلة: ص 71، 72، 73، 79.

واد سوف: ص 96، 97.

الخلاصة

تحتوي هده الدراسة على فترة هامة من تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر و هي الفترة الممتدة من (1830-1954) التي عالجنا فيها موضوع البعثات الاستشكافية و العلمية الفرنسية هي الجنوب الجزائري التي تطرقنا فيها الى ذكر كيف استطاع الفرنسيين التوغل و التغلغل داخل الصحراء و الجنوب الجزائري خاصة بواسطة المعلومات التي تحصلوا عليها من خلال المستكشفين الفرنسيين كما تعرفوا على كل المعابر و الطرق كما طبقت عدة مشاريع لضمان تغلغل جذورها داخل الجنوب الجزائري و ذلك لما رأت ان الجنوب اصبح يشكل خطرا لكونه أصبح حاضنة للمقاومات الجزائرية و أيضا كانت تمر بمرحلة كساد اقتصادي و الصحراء كانت تزخر بكميات هائلة من المواد الأولية و المعادن التي تحتاجها فرنسا لإزدهار صناعتها و هكذا اكتفت فرنسا من ارسال البعثات الاستكشافية للصحراء و عملت على ابعاد النفوذ الأوربي منها و إدراكها ان الجنوب الجزائري يتمتع بموقع استراتيجي هام يجعلها تتحكم في الجزائر و فضلا عن كونه يزخر بخيرات زراعية لذلك كرست كل جهودها لبناء أكبر إمبراطورية تمتاز بها .

Conclusion

This study contains an important period of the moderm and contemporary history of Algeria. Which is the period extending from (1954-1830) in which we dealt with the subject of French exploratory and scientific missions. The Algerian south.

In which we touched on mentioning how the French where able to penetrate prenetrate into ihe desert and the Algerian south .

Especially through information which they obtained through the french explorers. As they got to know all the crossings and roads.

And several projects were implemented to ensure the penetration of its roots into the algerian south. When it saw that the south had become dangerous because it had become an incubator for the Algerian resistance and it was also going through a stage of economic recession. And the desert was abounding in huge quantities of materials the raw materials and minetrals that france needs for its industry to flourish. Thus. France had enough of sending exploratory missions to the desert and worked to remove European influence from it and its realization that the south. the Algerian enjoys an important strategic location that makes it control Algerian. And in addition to being abounding with restful jealousies so it devoted all its efforts to the affication. The largest empire that distinguished it .